

## تقدير

كثيرة هي قضايا القصة التونسية . لو فتح السجل لرصدها ودراستها لوجد الباحثون معينا لا ينضب ، ولطلب منهم جهود الفارس المكابر المثابر يركب الأيام والليالي حتى يدرك الشوط ويظفر بورقة قديمة ذاوية يستلهمها العبرة ، ويستنطقها الأمجاد والذكريات .

فماذا تقولون عن نصف قرن اذا صادف أن تحدثتم يوما بلغة الأعوام والأزمان ؟ ! وماذا - لو سئلتهم - أكان أهلكم الأسبقون يجبون الليل ويسمرون ، وينثرون الأقماع في عيني كل طفل ، والغيلان يصيدونها من كل فج ؟ !

الديكم إجابة غير ما ستطرحون من قضايا ، وقضايا ، عن القصة التونسية ؟ الديكم أكثر من أن تستعرضوا ورقة صفراء قديمة تكاد تتلاشى ؟ !

عارنا أننا لم نهتد بعد الى هذه الورقة ... لم نقرأها بعد ، ولم نفتح أعيننا عليها ، وهي آيلة الى التلاشى .. والذبول والنسيان .

لقد أحست « قصص » بالخطر الذي يهدد هذه الورقة ... فشمّلها شعور حاد بوجوب رفع الاساءة عن تاريخنا ، والاعتراف بالتقدير للأجيال التي صنعتها ، وأسهمت في خلقه .

ومن أجل إنقاذ الورقة الصفراء ... ورقة الحريف الغائت ، .. ورقة الجيل الرائد ، في فن القصة على الأخص ، من أجل كل ذلك

أخذنا على العاتق ، واخترنا في صدورنا مهمة أن نفتح سجل القصة التونسية حتى يكون مرآة تعكس الأعوام الماضية ، وما خلفته جهود رجالنا العاملين الذين أمدوا تاريخ قصتنا بأعمارهم ، وعرقهم ، فكان من آثار تلك الجهود ما يجعلنا نفخر بهم اليوم ، ونعتبرهم بحق من الرواد .

لهذا كله عزمنا على أن ننشر ، من آن لآخر - في مجلة « نادينا » أثرا من تلك الآثار التي لم يتسن لأغلب باحثينا الاطلاع عليها لندرتها أو تلاشيها الوشيك .

فبداية من هذا العدد شمر بعض أعضاء النادي عن الساعد ؛ فأحد أعضائه اكتشف أثرا يكاد يكون مفقودا فبحث فيه الحياة ونشرناه كما هو ... كما خلقه صاحبه .. مع تعريف موجز ولحظة خاطفة عن حياة هذا الرائد ( محمد الصادق الرزقي ) .

وقام عضو آخر بدراسة تتعلق بالفترات والظروف التي اعتورت حياة القصة التونسية وبدأت تهيء شخصيتها في مرحلة من مراحل وجودها كخطوة أولى أو مساهمة متواضعة فيما يجب أن يقوم به الباحثون والدارسون لهذا الموضوع الهام .

إننا نعتقد أنه من الحتمي أن نعمل على ربط الصلة وتقريبها وتوضيحها بين الأجيال ؛ فبغير هذه الصلة سوف نبقي مبتورين ، ولن نعثر على ذاتيتنا ، وسوف نبقي بمعزل حتى عن أنفسنا .

وهكذا استجبنا الى تلك الختمية الملحة حتى لا نقول عندما نسأل - أو عندما نحاسب أنفسنا - إننا أضعنا الورقة الصفراء ، وطمسنا معالم الحريف الماضي ؟ ! فنحن نأبى أن نكون الجيل الحجود .

« قصص »

# قصص من روايات "أرجوان"

بقلم : محمد المختار جئات

الرواية الفائزة بجائزة « عل البلهوان »  
الاولى للقصصة سنة : 1965

## القسم الثالث :

الفصل : 52

غرة جوان : 1956

– جلال .. أملا ..

ورفع رأسه ، وباغتنه الوسامة والآنفة ، ورأى اليد اللينة تفزع اليه فانفض  
كفه اليها ..

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

– صلاح .. كيف حالك ؟

– بخير والحمد لله .. غال ، والله عال ..

– بخير .. الحمد لله ..

وتساقطت الحطى بدون هدف ، وانطلقت مع حركة سير العابرين الجياشة  
بحركة الاحتفال بذكرى عيد النصر ..

– قل لي : ماذا تشتغل الآن ؟

– وانبثقت حبة مالحه ، وغاصت في الحلق ..

– ألهو بالتسكع في الشوارع ..

– ألم تقدم طلبا للتوظيف ؟

ونزعت النظرات الكامدة الى سلخ قشرة الوجه الناضر :

- أنا لا أضخم المساومة على توظيفي .
- وارسلت - من مكان ما - ابتسامة عاطرة الى تحية اليد المرتفعة الى الأذن .  
'مرق في ذيلها استفهام رفيع :
- اتسمى ذلك مساومة ؟
- « انه يلح على مضايقتك »
- بلى . أنا لم أسجن خلال المعركة كي اكتسب حقاً مضايق به ، والسح ،  
واطالب .
- واستدار المعصم ، وبانت عقارب الساعة . .
- لقد أفادتني شهادة اعتقالي .
- « ابتغافر ؟ وتدافع الدم الى الوجه ، بينما انزعجت على الفم المتحدث ابتسامة  
يقظة ، وصاحبها يضيف في غبطة » :
- الى درجة انهم هناك ، ينهقونني بالاديب المجاهد .
- وتلجلجت الحيرة في الصدغين الموتورين ، وشق صداع الاختناق :
- هو توظفت ؟
- ولعلم الاستنكار في النظرات المترامية على الجمال المپثوث في الطريق . .
- او لم تسمع الى الآن ؟
- فزأرت الاعماق من رائحة الاستعلاء . . « وهل من المفروض ان تتزلف لمعرفة  
اخباره من وراء تجاهله - هو ووالده - لوجودك ؟ وما هي قيمتك يا سيدي ؟ :
- الوطنية دفعتك أنالها ، والادب ما زلت الى الآن تجهله . .
- قل له : ( لا . لا أحس بوجودك ) . .
- لا . .
- وقالت له ملامح الوجه الصاحب : « اتدجاعل ؟ » وفي اندفاع وكأنها تغمد  
في الصدر خنجرا . .



– الم تتعرف الى صوتي في نشرات اخبار الاذاعة ؟ اننى أشتغل مديعا .  
وقد تسمع لى قريبا ركن : « انغام الشعر » وانى افكر ان اذيع لك بعض ما  
تنتجه .

.. هذا هو بيت القصيد .. انه يسخر منك .. انك تحسده .. ان نيته  
خالصة .. ها هي الشهرة تضع خدماتها بين يديك .. الم تتمن ان يقرأ لك  
الناس ؟ تفضل واسمعهم لآخر الامر بعض ما تنتجه ..

« بعض » لقد لفظها امامك فى مكر وسخرية .

– شكرا .. لقد طلقت الادب .

« ترفع كاذب . كان الادب لا يعرفه غيرك .. الا يشرفك ان تحكم لسانى  
فى انتاجك مصيرك من سىء الى أسوأ .. ستتهار يوما ما ميتا من الحسد ،  
والفاقة ، والحزن .. »

وبلجملت القهقهة ، وتدفع الدم من جديد الى الوجه القانط .

– طلبة رجعية ام بائنة .. يا استاذ ؟

.. اصغعه ، ابصق على وجهه .. سددت الطريق / بتزافك ، ومات آخر امل لك  
كاديب ؟

هذا يعرفك كثيرا يشمت فيك الآن . فما بالك بالآخرين ؟ .

وواصلت اللهجة الساخرة تقول له :

– نسيت ان اخبرك بانه ستقع مناظرة لانتداب معلمى اللغة العربية .  
( تفضل فهذا هو مكانك ) . فاستعد كى لا تفوتك الفرصة .

اراد ان يقول لك : ( كى لا تسقط فيها ) .

وحاذتها سيارة كتب تحت باب سائقها : « الاذاعة التونسية » بلون ابيض  
زاه ، واطل من فوق حافة النافذة البلورية وجه طرى ذو شارب رفيع ، تعالى من  
لسانه صوت رخو تلاشى اثر ذبذبات « الكلاسون » .

– يا مجاهد .. يا شاعرنا ..

ورمى صلاح نظرة باردة فرفيفه ، وقال له من غير أن يصفاحه :

— لا تنس المناظرة .

ابصق على عنقه . . « اللثيم » رضع انصلافة من دماء والده . . ( لا تنس المناظرة ) معلم صبيان . . ( كاد المعلم ان يكون رسولا ) . وتزدحم الشوارع بالرسل . . ويلد لك الناس الشعب الذى يؤمن بك . مزيدا من الاطفال كى تؤدى رسالتك على احسن وجه ، وكى تتمكن من قبض الراتب الشهري . ( اذا كانت مهنة المعلم شقاء ، فمن سيعلم الاطفال ؟ ) . . ليعلمهم غيرك . . أنت مسيح جديد ؟ ولم لا يعلمهم ذلك الحيس ؟ . . الاناقة ، والراحة ، والراتب ، . . ابن حامد ؟ . ما يدريك انه يسهر الآن مع من رماهم صاحبه رشيد فى اعماق السجون ؟ يبتسم ويصفى فى ايمان وتواضع وحياء ، ثم يصفق بيديه إعجابا ، ثم يخنى الرأس فى خضوع واحترام ، ويتزلف ، ويتمسح بالاعتاب ، ويسعى اخيرا فى تضرع واستجداء لكى يوظف ابنه . .

الا يهدأ لك بال ؟ ان عقلك ملوث ، ونفسك خبيثة . « المسود لا يسود » . انك لست نابغة يا سيدى . . انك واهم ، ضال ، مغرور المواهب . اف . يا لك من مأفون . لقد ولى عهد المواهب والادعاء الكاذب . . المواهب هى الشهادة فى اليد ، وصداقة السيد فلان . بل ان صداقة جناب المحترم خير من الف شهادة . .

اين انت ؟ اتنسى انك فى عهد بورقيبة ؟ . انتظر حتى يصفى الوضع ، يطيح بالاولئان والأنصاب . أنت اصم ؟ الرقة ، والحنان ، والسدف الوثير ، والاناقة ، والظرف . . كنها تسيل ، زهنت .

— هنا تونس . . انغام السمير يقتلها لكم . .

الغثيان . . الصداع . .

اسكت . . اسكت . .

\* \* \*

هو بعينه . . وهتف :

— غسان الدالى . . غسل . .

واستدار الوجه الاسمر اليه .

— اهلا جلال . أهذا أنت ؟

وسار بجانبه ، وقال وهو يتأمله فى ارتياح :

— هل رجعت — سريعا — من قصصة ؟

ولاحت على وجه غسان الرغبة فى مطارحته اشجان الحديث ..

— لقد رجعت أخيرا . ما رأيك فى ان نستريح هناك ؟ ومد رأسه فى اتجاه الحانة .

— لا بأس .. أهى حانة ؟ لماذا لا نذهب الى مقهى ؟

وقال غسان وهو يربث على كتفه ويتسم :

— وماذا ستجد فى المقهى ؟ الماء الساخن ، والوجوه المطرقة فوق « الدومينو » ؟

لا تنس انك شاعر ، وهذا هو محراب الشعراء ومصلى عمر الحيام .

وتخبطلت نظراته فى الحانة ، ورمى النادل حجرة خطواته ، فابتسم له ..

— ولكنى لا اشرب الخمر ..

وجذب غسان احد الكراسى ، وراح فوقه جسمه ..

— تفضل اولاً بالجلوس ، وسنتحدث حول قضية رجوعى الى تونس ، ثم نتناقش فى اسباب تخلفك .

وجلس مبعدا رأسه عن الطاولة ، وتطلع الى انحناء النادل الذى يمسح سطح الطاولة بالمنشفة ويقول فى الحين نفسه ، وهو يركز عينيه على وجه غسان :

— ماذا تشربان سادتي ؟

فادار غسان رأسه الى الحوان ، وهو يسأل النادل :

— أليكم لمح متبلة ؟

وبسرعة اجال النادل :

- فول .. سمك .. سلاطة .. بطاطا .. زيتون .. فجل ..

- عال .. عال .. هات لنا زجاجة « كوديا » .

وزعق النادل وهو يستدير فى رشاقة :

- واحد كوديا .

وتنهذ غسان ، وقال بعد صمت قصير :

- لا ادري كيف تكون حال العباد ، لو لم يخلق الله الخمر ؟

فغمغم جلال فى دهشة :

- اهو عندك بهذه الأهمية ؟

فقهقه غسان ، و اضاف :

- قل عند جميع الناس ، وحتى عند الله نفسه . ألم يعدهم بنهر من الخمر

يسيل فى كامل ارجاء الجنة ؟

ورصعت الطاولة بصنحوه الصغيرة يتضاعف منها بخار المتبلات ، ووضع الى

جانبيها طبق يتلالا بقطع الثلج ، وتصدرتهم الزجاجة بعد ان طلق صوت سدادتها

فى قبضة النادل .

واحتضنت اصابع غسان الزجاجة فى رشاقة ، وملا الكاسين ، فطفحت قطعة

الثلج تختلج فوق سطح الخمر ، ثم رفع كاسه ، وحدث فيه :

- لقد رجعت من قفصة بعد ان دفنت اُمى . ولم اجد ما يغرينى بالكوث

هناك .

وغررز شوكة صغيرة واخذ يلتقط من كل صحن ، ويدفع الى فمه ، ويتلمظ

قبل ان يواصل حديثه قائلا :

- وما انت ترانى امامك .. قضيت الايام هكذا : فى الصباح اعالج صداع

راسى واتشاب ، واتمطى فى الفراش ، وفى المساء الجأ الى الحانات وادفن هوى

بها .. لماذا لا تشرب كاسك ؟

وانتشر وجس التردد على وجه جلال ، وقال وهو ينحني رأسه الذى اسندته الى كف ذراعه المنتصب :

— لا استطيع .. صدقنى .. لا اقدر .. اى انى ..  
وقاطعه غسان مقهقها :

— انك تجتاز المرحلة الاولى اذن ؟ فانت على الفطرة .. يعنى انك بكر ..  
اتعشق العذارى يا اخى ؟

وقال جلال وهو يحرص على افهامه وجهة نظره :

لم يسبق لى ان ذقت الحمر ، لا بدافع التقوى ، وانما ..  
واراحه غسان من عناء متابعة حديثه :

— لقد ازلت عن نفسك افسد الاسباب • التقوى : الكلمة التى احيلت فى عهد هارون الرشيد الى التقاعد • شدد ما يحثنى ان يتظاهر المنكوبون فى واقعهم السيء بهذه الكلمة العتيقة • اذن لماذا لم تشرب الحمر الى الآن ؟

وعدل جلال جلسته ، واجاب :

— يقولون : انها تذهب العقل و ..

وقاطعته القهقهة فى مرح :

— جميل هذا التعبير • أحرص كثيرا على التمسك بعقلك ؟ انك اولاً عاطل عن العمل ، وثانياً انك تشقى فى هذه البطالة بعجز عقلك عن انقاذ نفسك من الفراغ ، وثالثاً انك تحار من قبوله لمجريات الامور التى تخفظك وترفع من هو دونك • وملك من هذا العقل الذى تحرص على ابقائه • اسمع • ارفع كأسك هكذا ..

وتخاذلت يد جلال ..

— ولكن يقولون انه مر ، يبعث على التنفر ..

وقال غسان فى اندفاع وحماس :

— كذاب من قال لك هذا ، ان به بعض الحدة ، ولكنه ليس مرا ، .. ولكن

لو كان كذلك اترانى اصبر على كبح التفرز ؟ أرايت على وجهى أناره ؟ ارفع يا شيخ كأسك ارفعه عاليا .. انك الوحيد الذى يشرب الحمر بالتزكية .. انا .. مثلا ، شربتھا بدون تبرير .. وجدت نفسى ذات يوم اجلس مع احدهم ، فيصّب لى كأسا ، واحدق فيه ، ثم ارفعه الى شفتى ، واترشفه على مهل ، وكأننى اتذوق فيه رائحة وجودى . ومن يومها ندمت على خلو أيامى الماضية من الكأس . كم خسرت من سنين عشت فيها كالسائمة ؟ أتعرف . لقد فكرت على طريقة المنطقيين والفلاسفة فى إيجاد تعريف للانسان ، وهو هكذا :

« الانسان هو الحيوان الذى يشرب الحمر » . مالك لا تشرب ؟ .

ولاح الامتعاض والتفرز على سيماء وجه جلال .

– رائحته .. لقد شممتها فاحسست بالغثيان .. انها ذات نفس مر بارد ..

وانتفض الجذ فى عيني غسان ، فقال له وهو يشعل سيجارة ثانية :

– ضع الكأس . اى شىء تفضله من المشروبات اللذيذة ؟

– كوكا كولا .

وصفق غسان يطلب المشروب ، ولما وضع بين يديه ، قال له وكأنه يحاول تنويمه مغناطيسيا :

– انت الآن ستشرب الكوكا .. ولكن من فضلك الا تستطيع ان ترى هل اغلق الدكان المجاور للمحانة ابوابه ؟

– بكل سرور .

واطلق فى غيبته قهقهه ..

ولما استراح جلال فى مقعده ناوله الكأس قائلا :

– هات ذلك الكأس الذى رفضته ، فانا له قبل ان تقطف يد البستاني عنقوده .

– لكم انت مخلص للخمر .

– ذلك خير من ان اخلص للعقل . والآن .. على الاقل لنقرع الكؤوس وان

لم نتشابه ، ولنسرب نخب ضياعنا فى الحياة • ولنفرغه دفعة واحدة كى يتحرك  
حظانا غدا •

• ووضع الكأس ، وقطب قليلا فى فراغها ••

— لا شك فى ان هذه « الكوكا » قديمة ، او غير مضغوطة •• لقد تسرب  
اليها العفاء •

فقال وهو يناول قشرة بطاطا طازجة :

— امسح ما علق بفمك من هذا العفاء • قد يكون ما تذوقته وهما • اذ انك  
شممت بأنفك وباعصابك ذلك النفس المر البارد ••

ودب خدر خيف لذيد فى اعصاب جلال ، فقال وهو ينهض لسانه :

— حقا ان الوهم كثيرا ما يتسرب الى الحقيقة •

— او العكس •• لقد ماتت الحقيقة •• ماتت عندما عرفناها ، وعلى اشلائها  
عرعنا الوهم ، وسوف لا نتخلي عنه لانه قدرنا •

وصب لنفسه كاسا ، واعد امام جلال تجربة المزج ، فقال له ، كانه ينبهه الى  
وقوعه فى خطأ :

— لقد صببت الحمر فوقها •

فاحنى رأسه ، وعيناه ساهمتان تحدقان بعيدا :

— تجربة مزج الحقيقة بالوهم • لا تجزع لقد ذقتها الآن يا صاحبى  
واستسقتها قليلا •

• وطلب زجاجة اخرى ••

وامتزج بخار المتبلات بدخان السجائر ، وسرى الدفء والصخب فى الحانة ،  
وكانت طقطقة السدادات توقظ الاعصاب وترشق الليل الهابط وراء الحانة  
بشبهقات الصبر على السكون •

وتضاعف الحذر ، واستحال الى نشوة وردية نامية ، وفجأة بسط جلال

راحته ، وقال فى لكنة لينة : « اعطنى سيجارة » ولما نفث دخانها استطرد قائلا  
فى ابتسام :

– اتعرف انى أو من بفلسفتك فى قضية حب « روبرت جوردان » حقا ان  
دعوته فى فيلم « لمن تقررع الاجراس » لما رى كى تخلع كيانها فى ذاته : دعوة  
شاعرية اكثر منها فلسفية •

وقتل حرارة الصحن برودة الكأس ••

– وغغم غسان وعيناه تشتعلان مرارة :

– لقد اضطرتت الى التخلي عن الايمان بالحب ، والحظ ، والعم ، والحقيقة ••  
ولا ادرى هل سأضطر يوما ما الى التخلي عن الايمان ••

ومادت النشوة فى اعطاف جلال ، وهتف به :

– انك تحرق نفسك •

وتهقه ساخرا ••

– لست اخشى عليها ، كما تخشى أنت على عقلك • انظر هناك حدود يقف  
عندها الغرز والدين • واصبحت اخيرا الوطنية – وكل المفاهيم التى صنعوها  
لى لا تتحمل الغرز ، لأن حدودى تلاشت وذابت •• قد تتضخم النواة فى حبة  
الزيتون مع اننا نلفظها ، ولكن انا اصبحت بلا لحم ، وبلا نواة • انا قشرة  
هالكة متعفنة •

قال جلال ، والحمة تعصر وجهه وتزغلل عينيه :

– اشك فى ان تغيير اتجاهى سيبدل يوما ما من تجاهلى لما اعرف • لن اكون  
ممثلا ناجحا وعينائى اراما تحديقان فى • اننى شقى ••

واستعرت اناقة الدهول بين اهداب عيني غسان ، وهو يقول له :

– لقد بدأت تعي وجودك ، ولكن فى غير صرامة • اتعرف ان من الخير لى ان  
لا اكون موجودا • او ان لا اكون انسانا ، او ان لا ••

وقاطعه جلال ولسانه يثقل تحت رغبته فى ايجاد ما يقوله :



- لقد فكرتني • اتعرف ابن عمي « صلاح » ؟

وعصر غسان جبينه قليلا ، وقال في غير مبالاة :  
- لا •

- انه عين مديعا •

وتأملت عينا غسان ، وقال وهو يتجرع كأسه :

- الهذا كنت تحرص على كتابة القصص والقصائد ؟  
فبعد جلال شفتيه امتعاضا :

- لقد كدت ابصق على وجهه • انه يستكثر على ان اكتب ، حتى انه نصحنى  
اخيرا في سخريته بان استعد للمشاركة في مناظرة انتداب معلمى العربية •  
وظفح الوجوم فوق اجفان غسان ، وقال بخرارة :

- اسمع ، جلال : الاديب الاصيل يجب ان يرفض طقوس الوظيفة • رضاب  
القلم يجب ان يكون فوق سعال الرئاسة او التحكم • وفوق مستنقع الكسب  
التجارى • مسك القلم معاناة ، والمعاناة رسالة ، ولكل رسالة متاعبها • ولكن  
أفى متاعب رسالة الاديب ، يجب ان يكمن القليل من الألم ؟

وتراخى جذع جلال على حافة المنضدة ، وقال فى انهيار :

- لكن يسقط وقار الألم اذا انبعث من الجوع •

- هل جوع الروح اشقى من جوع البدن ؟ حقا ان البدن يا جلال يفرض  
نداء المعدة فمن اين سيقنات الاديب اذن ؟ : من انتاجه بدون شك • ولئن كان  
الاديب ينتظر عونا من الدولة ، فهذا العون يجب ان يتمثل فى حماية انتاجه من  
لصوص السوق التجارى ، وذئاب الاقتباس اللعين •

وجار جلال :

- ولكن صلاح حين صار مديعا جردنى من اعتبارى كأديب •

وتوقد السهوم فى عيني غسان ، وغغمغ :

- عدنا الى التجريد ••

واضاف جلال فى تفرز والاشمئزاز يملأ بعلومه :

— لماذا يبتلى الله الانسان بهذا الأدب • ؟

وافرد غسان سبأته ، وزرع فى الوجه المخمور عينيه :

— أف • ان الادب لعنة • وقد تهبط اللعنة من السماء • • ولكن كيف عرفت ان صلاح أديب ؟ من النادر ان يفضح الأديب نفسه ؟ ان القرابة سلم واه ضعيف امام الاديب الحريص على اضاءة شعلته • وكيف ؟ اصعدت الى السماء لتفتش عن القمر ، فاصطدمت بصلاح ، ولما رأيته بجوار نوره احتملت التعرف على وجوده ؟

— لقد عرفت اخته • • واحتملت التعرف عليه من اجلها • وقد استطاعت هي ان تجرني الى قلبها ، وانتبه والدها الى ان ثيابي قذرة فزجرها ، وببساطة نبذتنى •

واحس بالدوار يتعصر عروقه • •

وماد رأسه من السكر ، فامسك صديقيه ، وهما غسان كاسين • • واضاف جلال وهو يسيطر على الجميع الذى يلهب اجفانه :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

— بعد ان مات أبى ، لجأ والدها الذى هو عمى الى التصرف بمفرده فى ارضي • ولم تستطع أمى المريضة بالعمل ان تشكوه • وماتت • • أف قصة قذرة • • دعنى اصمت • •

ونغمم غسان فى ألم :

— اننا كالحلزون نحمل مآسينا فوق ظهورنا • خذ ، اشرب • واسكت • •

ونامت اليد بالكأس ، واتعشت • •

— جلال •

وطوقت الاصابع الكأس بقوة ، وانتفح الغم على سعته ، فغاب ما فى الكأس دفعة واحدة •

— اريد ان اشرب • • اريد • •

وقذف بالكأس على الأرض ، وطارت شظاياها ، فلهثت أنفاسه ، واحمرت عيناه ، وقام ، وحرق الحانة بنظراته ، وخرج مخلقا صاحبه الفارق في الدهول ..

\* \* \*

والت الاصغاء الى شخير أخيها ، والى انتظام انفاس أمها الغرفة فى النوم .. ورفعت رأسها قليلا عن الوسادة ، وأنصتت .. وللمرة الاولى يسهر جلال الى هذا الوقت المتأخر من الليل خارج المنزل . أين يسهر يا ترى ؟ ومع من ؟ عشاؤه على المنضدة .. لقد برد .. وجمد أدامه ..

ودق قلبها . اتخرج اليه عندما يجيى ؟ انهما نائمان . قد يظن احدهما الى حركة خروجها . غير محتمل ان يشعر بها أخوها ، اما أمها فانها تعرف عنها ثقل النوم ، وجمود الهمود ، ونزرة التقلب والحركة . وانقضت جذعها قليلا ، واصغت .. لم يرتفع الى الآن سرير الباب . واعتمدت مرفقها ، ونحت عنها بكل هدوء غطاء الفراش ، واستوت جالسة . ثم مدت يدها وسوت اللحاف حول كتفى أمها لتمنع هواء الفراغ من التسرب الى ضلوعها . ولنعتها نسمة باردة ، فكبحت بكل عنف ومشقة حشوة السعال المتصاعدة الى حلقها . وضغطت على بلعومها ، وكتمت أنفاسها ، وارتخت . ثم استمدت من ضلوعها إحياء الشعور بالمناعة ، وامتلكت أخيرا السيطرة على جهاز تنفسها .

وحدثت فى ظلام الغرفة ، وضاعفت تركيز نظراتها حوالى السرير . أخيرا جنح ضوء القمر الواهن المتسرب من وراء شقوق النوافذ الى مدعها بطاقة القدرة على تمييز ما يجثم امامها .. هذه حافة السرير ، وذلك مدخل المقصورة ، وهناك الباب .. والى الآن لم يرتفع زحير باب الدار ! اتنهض لترى ان كان قد جاء ؟

لو جاء ، لأنبأها الباب بذلك .. ما الذى يدعو الى السهر خارج الدار طوال هذا الليل ؟ واذا جاء ؟ .. وسمعت صرير الباب ، فكفت خواطرها عن البث ، وتصاعد الدم الى صدغيها فكتمت أنفاسها ، وسحبت رجلها من تحت الغطاء ، وانزلتهما بهدوء عن السرير ووقفت . وطرق قلبها ، وبغ ، وتضاعف لهائه . فانهضت رؤوس أصابع قدميها ، واخذت تسترق المشى ونبضات القلب تنير لها الطريق ..

ووصلت دون احدث اية نامة ، وواربت باب الغرفة ، واطلت برأسها ..

انه هو .:

ومزقت الى الحوش ولحقت به ، ولم يفتن الى مسيرها وراءه . ولما دخل غرفته ، ارخت كتفها على مدخل البيت ، وانتظرت ان يوقد النور . وحك عود الثقب ، وبدل ان يضغط على زر الكهرباء اخذت يده تتحسس ما على المنضدة ، فازدحمت ، وخشخشت كتاب ، ثم تهاوى ضوء العود ، وانطفأ . . . اخيرا توقف التحسس ، وعادت الاصابع تستل عود الثقب وتقدحه ، وبدأ الضياء يتراقص ، واندلع نور الشمعة يكتسح الظلام .

ودخلت وراءه فلفتها الدهشة .

لقد انهار فوق فراشه ، وهو يضغط على صدغيه . .

- جلال . مالك ؟

وفحت الدهشة في حمرة عينيه ، ورأى خياله يتراقص في مجرى نظره . .

- انا سكران ، وشقي .

- سكران . . لماذا تهتم نفسك يا حبيبي ؟

قدور يتوب عن الحيرة ، وانت تتردى فيها ؟

وجلست بجواره ، وتطلعت الى وجهه . كانت عيناه تسحان دموعا صامتة . .

وهتفت في حنو :

- جلال . .

واخذت تخلل اصابعها في شعره ، بعد ان وسدت رأسه صدرها . وزمجرت في ألم :

- من دفعك الى السكر ؟

فجار من بين صرير استنائه :

- واقعي السي . . تعسى . . تحسى . .

وعضت شفيتها . . .

- جلال انك تؤلم قلبي ..

وانفجر شلال مكنونه :

- فضيلة . نحن فقراء .. وانا اتألم لأنك مريضة . وما زلت اذكر ان الطبيب الذي فحص أمي ألح على المبادرة بتعقيمك . وقد تلاعب « جامد » بعقل المحامي ، واخذ هذا الكلب يعري انيابه .. وانت تعرفين اني سجت .. وكل من غامر أو تورط في خوض المعركة لجأ الى الحزب يرجو ويستعطف لكي يوظفوه .

وحتى صلاح ابن ذاك الذي كان يتمسح باعتاب الكتابة العامة سعى ووظفوه ، وانا ..

وعض على شفتيه وصمت . واندفعت فضيلة تقول له في حرارة :

- ولماذا لا تسعي انت ايضا ؟

فقاطعها في زمجرة راعدة :

- لا يا فضيلة انا امقت الانتهازية .. اكفر بها .. امقتها ..

وتعتع ذهنها ، واحسبت بالحيرة تطبق عليها . واقتلع هو انفاسه ، و اضاف :

- كيف اقدم طلبا للتوظيف ؟ وماذا سأقول فيه ؟ اننى اخجل ان اقول :

انا وطني ، وقد سجت اثر مظاهرة بتاريخ كذا .. و .. لا يا فضيلة . انا احس وانا افعل ذلك وكأننى اتعري من ثيابي . ان احساسى الوطنى ليس مزرعة ولا رصيذا تجاريا ..

واسرعت فضيلة تقرب رأسه الى صدرها ، وتمسح دموعه بوجنتيهما ، وتغمغم :

- جلال لقد فهمتك . اسمع يا جلال كلام قلبك .

ولهت ..

- ولكن ..

وصمت ، فهتفت به :

- قل ما يجيش به صدرك • سأفهمك يا جلال • قل ••

فقال في اعياء :

- هناك مناظرة ستجرى في الشهر القادم لانتداب معلمين العربية ، وانا لا ادرغ كثيرا في المشاركة فيها ، بسبب ••

ولثمت شعره ••

- بسبب ماذا ؟

فرفع اليها نظراته الذابلة ••

- بسبب انها لا تتركنى أقرأ أو أكتب ••

ورفع اليها وجهه ليقول :

- كم أنا فى حاجة الى قهوة ، كى تزيل عنى صدام رأسى ••

ضجة فى المطبخ ، وفى هذا الليل الذى اخذ يتناصف ؟ ودفعها الحنان الى تلبية رغبته ، غير انها اسرعت تلحف عليه :

- ولكن الا اسخن لك الغشاء ؟ <http://Archivebeta>

وزفر ••

- لا •• ليست لى رغبة فى الاكل • لقد شبعت من اللحم •

ونفض ، فرمقته فى قلق ، وهى تستدير خارجة من البيت ••

- الى اين ؟

- سأرافقك ••

واجبرتها وحشة الظلمة على قبول مرافته • واندلع الضوء فى المطبخ ، والتفتت الى فناء الدار •• ماذا احس قدور ، أو أمها بهذه الضجة ؟ ولحت انه ادرك ذلك ، حين قال لها :

- ليس لنا ما نخفيه عنهما •• انهما يعرفان انك لى ••

آه يا حبيبي .. انك لى ..  
وأز بابور الغاز ، ووضعت فوقه ركوة القهوة ، ورمقته . كانت نظراته ذاهلة  
وراء اللهيب ، واقتربت منه وامسكت وجهه بين راحتيها .. ما زال الاحمرار  
يغشى عينيه ..

- امازلت تحسن بالتعب ؟

- لا . مجرد صداع خفيف ..

ومدت يدها الى درج الحزانة ، وهى تقول هازجة :

- من حسن الحظ انى احتفظ هنا ببعض اقراص الاسبرين .

وابتلع قرصين وسبقته الى البيت حاملة فنجان القهوة والظلام يبتلع المطبخ .  
واخذ نور الشمعة يتراقص على جدران البيت ، ويعكس طيفيهما ..

- جلال استرح فى فراشك . ارجوك ..

وتخفف من ثيابه . واحوت تدثره بالغطاء ، وتمدد له فنجان القهوة .. الا  
ترجع لفراشها ؟

ولكن هل زال عنه الصداغ ؟ واقتربت منه ، فقال لها وهو ينهى رشف آخر  
جرعة فى فنجانه :

- اجلسى قليلا .. سافهمك وجهة نظرى فى التوظف .. انا ..

واكتسح السعال صدرها .. فارتعد ، ووثب نحوها ، وضمها اليه .  
وجاهدت لتكبح جیشان صدرها ، واحمر وجهها ، واخضلت عيناها . فرقع عنه  
الغطاء واخذ يدثرها به .

- لا .. انه من برودة الليل ..

مسلولة .. مسلولة .. زمجرة اعماقه تصرخ .. تنوح .. تبكى ..  
فضيلة .. فضيلة .

- لا يا جلال .. اطمئن .. انها برودة الليل فقط ..

اتبكى .. انك تؤلنى .. اقسم لك انى لا احس باى ألم ..

وتأملها .. واخذت تغفلل اصابعها في راحته ..

- اتم حديثك .. لماذا لا تريد ان تتوظف ؟

مالك ؟ الا زلت تحس بالصداع ؟

واحنى رأسه فوق وجهها ..

- لا .. الا ترغبين في النوم ؟ قومي الى فراشك .

- اؤكد لك اننى بخير .. بى رغبة الى معرفة ما كنت تود ان تقوله لى ..

وبل شفتيه ..

- انا اهوى الادب ، والادب هو : امتلاك التعبير عن الاحساس .

- ان هذا الادب شىء جميل يا جلال ..

- ولعين أيضا .. ان طريقه مملوء بالشوك والعقبات .. منها مثلا : ان على  
الاديب ان يقرأ كثيرا وكثيرا .. ويقرأ ألف كتاب لكي يكتب احيانا صفحة  
واحدة .. يقرأ ، ويقرأ دائما .. وهذا يا فضيلة يتطلب منه وقتا طويلا ومديدا  
كي يفهم بعيق ما يقرأه .  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- ولكننى اراك دائما تقرأ ..

- ما قرائته قليل من كثير . ثم تأتى صعوبة الكتابة ..

- ولماذا ؟

- صعبة لانها تعبير .. كيف اشرح لك هذا ؟ هناك مثلا . يا فضيلة ،  
موضوع أريد ان اصنف فيه حبي لك . فكيف اصنفه ؟ ان قلت لمن سيقرا ما  
اكتبه عنه : ان حبي لفضيلة كالندى الذى يلعبه الورد من الفجر ، أو كالظلام  
الذى يحتاج اليه العشاق . أو كحبة القمح التى يلتقطها عصفور جائع ، أو  
كدموع السماء التى ترتعد الارض اليابسة لحنانها ، أو ..

فهتفت به :

- ارجوك اتم .. قل لهم ذلك .. ما احلى ما تقوله ..



- ولكنه لا يكفى •

- لماذا ؟

- لاني اراه لا يعبر كثيرا عن شدة حبي لك ••

- ولفظت بالرغم عنها :

- يا حبيبي ••

- لا تنسى انى احذثك عن الكيفية التى يعبر بها الاديب عن احساسه •

وعصر خصلة شعرا ، وحقق فيها وهى تتهدل من خلال انامله ••

- اذا استقطبت معاناتى ، اوجدت الانتفاضة الملهمه للخلق ، وعندها احوك منها حسا :

يكون حينئذ احترافا ونداء ، وهذا النداء قد تتلقفه الرؤيا وتبرعه ، وتفتح منه حريف الوعي : انسانيتى • وحتما ستجنين منه انت ثمار ضياعنا فى الالم ، ولن تقشعرى سلفا من هذا الحريف ، لانه كان - وسيظل - حريصا على التقاط ابتسامى من حور عينيك •• انه حريف كريم يا فضيلة • وكفاه خلودا انه اهدى للخلود زهرات الموت ، واكفان الرحمة •  
<http://www.egyptology.com>

كانت تبكى ولا تفهمه ••

وكان هو قد نسى موضوع حديثه ، وترصيفه ، ونهجه ••

وكان الفجر يرقق ضوءه على النافذة ••

## انتهى الفصل

محمد المختار جنات

# « المحكوم عليه »

بقلم : عبد المجيد عطية

الفئة الفائزة بالجائزة الثانية  
مسابقة « على البلهوان » سنة : 1965

وبعد انقضاء عطلة الربيع عاد حسن الى عزلته والى عمله فى المدرسة وفى المنزل ولاحظ انه سريعا ما يأخذ منه الجهد فعدل عن اجتياز الامتحان فى دورة جوان .

واتت العطلة الصيفية فكتب الى أمه يعلمها انه سيذهب الى عين دراهم للاستراحة ثم يلتحق بأحدى المعاهد الصيفية بفرنسا لتحضير الامتحان . واستغف لعدم عودته وذكرته انه لم يعد الى مسقط رأسه منذ أكثر من ستة اشهر ولم تدم آخر زيارة سوى ثلاثة ايام .

وسألت أمى لطيفة قمر عن تغييب حسن فأعلمتها ان الطبيب اشـار عليه بالابتعاد عن رطوبة البحر والاقامة مدة بالجليل فدعت له بمزيد الشفاء وفى المساء زارت خديجة سلفتها ورجت لحسن الصحة والعافية .

استرجع حسن صحته بأقامته بعين دراهم وسافر الى فرنسا حيث التحق بمعهد نانوى يدرس ويراجع وكثيرا ما كان يتساءل عن اثر الحبية فى نفسه لو قدر له الا ينجح اذ لم يذكر انه اجتاز امتحانا وخاب فيه ويخشى ان يفشل فيما بعد ويبقى من المحكوم عليهم بقية حياته .

واتى موعد الكتابى فاجتازه وكان راضيا عما قدم اذ كانت المواضيع فى متناوله ولكن من يدرى انه لم يتعمق فى دراسة الفلسفة ولعل ما بسطه من آراء لا يرضى الاستاذ المصلح وان خاب فماذا سيكون ظن اصحابه فيه وخاصة ابراهيم الذى اكد له النجاح ؟ ولكن ما له يخشى الحبية ومن سيلومه عليها ؟ ألم يتم بتحضير الامتحان زيادة عن عمله ؟ ان نجح فهو رابح وان خاب فلا

خسارة • وظهرت نتيجة الكتابي وكان اسمه ضمن القائمة فطار فرحا اذ قد اثبت لنفسه انه في مستوى الامتحان لكن بقيت عقبة الشفوي وسيكون امام اساتذة لا يعرفهم وربما طغى عليه الحجل وعاقه عن الاهتداء الى الاجابة الصائبة • واخشى ما يخشاه سؤال الفلسفة لذا رأى ان يبدأ بهذه المادة • ولم يشأ ان يكون اول المجتازين وتقدم تلميذ آخر وطرح عليه الاستاذ السؤال فندم حسن انه لم يتقدم اذ كان ملما بالجواب وتقدم آخر فأخر وكل مرة يقول في نفسه « ليتني تقدمت ظهرت الاسئلة السهلة وبقيت الصعبة من نصيبي » • وأتى دوره وتقدم واصغى الى السؤال فلم يتضح له الجواب فارتبك وخائنه الذاكرة ولاحظ الاستاذ عليه الاضطراب فعمل على تطمينه وعديه فشرع في الاجابة والاستاذ يشجعه الى ان آثم ونهض فرحا فاجتاز سائر المواد في شئ من الثقة وظهرت النتيجة آخر اليوم فكان من الناجحين فذهب مسرعا الى دار البريد وبعث ببرقيتين احدهما الى أمه والاخرى الى ابراهيم يؤكد له فيها انه لم يعد من المحكوم عليهم •



لم تدر قمر لما بلغتها البرقية اتفرح فرحها السنة الفارقة ام تتشامم من هذا النجاح لقد لاحظت ان ابنها لم يعد كما كان لقد تغير وأصبح يبتعد عن عائلته وعن بلدته انه لم يعد اليها منذ ما يقرب السنة وها هو يفادر وطنه لأول مرة ويقضي العطلة كلها بعيدا ومن يدري لعل المقام سيطيّب له بفرنسا وسيبقى هناك وبنات الحرام كثيرات مغريات ثم نجاحه في البكالوريا سيدفعه الى تحضير امتحانات اخرى وكم سيقضي من سنة في تحضير هذه الامتحانات ؟ وهل سيبادر بالزواج ام سيؤجله الى ما بعد ؟ وماذا سيكون مصير صالحة ؟ نعم ان ابنها لم يقصر في واجبه نحوها فقد دعاها الى تونس في عطلة الربيع وهو يرأسها بانتظام وبعث اليها بما يفي بحاجيات العائلة المادية ولكنها مشتاقة الى رؤياه والى ان يكون بقربها •

ضاقت نفسها فذهبت الى أمي لطيفة وافضت اليها بتخوفاتها فقالت لها :

— هكذا جيل اليوم ربه وكونه فاذا كبر غادرك ونسيك كله من التعلم •

فحز في نفس قمر ان تسمع هذا الحكم القاسي على ابنها • لا ! لا ! انه ليس كغيره من الشبان بل هو مثال الاستقامة في السيرة والاعتدال في السلوك •

انها تعرفه جيدا وتعرف ما يكتنه نحوها من عواطف المحبة ومن التعلق الشديد بها . انها لا تصدق ان يكون ابنها من نوع ابناء جيل اليوم لا يفكرون الا في صالحهم ويبادرون الى الابتعاد عن وسطهم وعائلتهم ويقطعون الصلة بـماضيهم . انه ليس منهم ولن يكون منهم .

وقالت أمى لطيفة :

— لماذا لا تذهبين الى الدرويشة تنتمسين منها الفال ؟

— اخشى الا يكون خيرا .

— ان شاء الله ما ثمة الا الحير والمقدر كائن .

فقبلت الذهاب بعد تردد ومن الغد اخذت معها منديلا لحسن وذعبت الى الدرويشة ولم تكن اول مرة تذهب اليها فقد زارتها لما اصيب احمد بمرض الحصبة وطال به المرض وصارت حاله تنذر بالخطر وخافت عليه ان يلحق ابناء فاشارت عليها الدرويشة ان تاخذ شربة من الفخار الجديد وتملؤها ماء وتبيتها ليلة كاملة قرب الجدار القبلي فان اصبحت ناقصة فلا خوف على ابنها وسيشفى باذن الله وعليها ان تخرج الشربة حينئذ وتكسرها قائلا : « اطردت المرض وابعدت الشر » . وعملت اذ ذاك بنصيحة الدرويشة وقضت ليلتها في حيرة وما ان لاح الفجر حتى قامت الى الشربة ولما رأتها ناقصة بادرت الى تكسيرها وشفى احمد بعد ايام .

دخلت غرفة كبيرة فقابلها سنجق معلق كانت اهدته امرأة رزقت مولودا ذكرا بعد عقم دام اكثر من عشرة اعوام وكانت الغرفة مملوءة نساء وكل تتحدث عن مصائبها فهذه لاحظت تغيرا في سلوك زوجها اذ صار يقضى جل الوقت خارج المنزل فلا يعود الا عند منتصف الليل وقد لا يعود وهي تخشى عليه بنات الحرام او ان يكون تزوج على غير علم منها . وتلك سرق سوارها وتتهم عددا من الجارات والقريبات وتريد من الدرويشة ان تدلها على السارقة وثالثة لم ترزق ابناء وعددها زوجها بالطلاق ان لم تلد فكانت جالسة تحت السنجق تلمسه وتقبله ورابعة اتت تسترشد عن شاب اتى يخطب ابنتها لتعلم اهو لائق بها ام لا وخامسة جاءت وطفلها منعها لترفع عنه البكية وسادسه اراقت الماء الوسخ مساء الاربعاء دون ان تسمى باسم الله فانتقم منها الجن وافقدها بصرها فأتت تستسبحه في ما صدر عنها عساه يرد لها بصرها جلست

قمر تترقب دورها وكانت الدرويشة جالسة بينهن تصغى الى حديثهن دون ان تظهر انتباهها الى احدهن ثم اتت بكانون ووضعت فيه شيئا من الوشق وصعدت دكانة كانت على يسار الداخل وارخت كلة حريرية حمراء وبعد لحظات سمع صوت خشن من وراء الكلة يقول « السلام عليكم » فاجابت الحاضرات « وعليكم السلام » ورمت الاولى مندبل زوجها وذكرت اسمه وذكرت اسم امه وبسطت شكواها فاجاب الصوت بان لتخوفاتها اساسا من الصحة وان التي شغلته شقراء من ملة اخرى طامعة في ماله ليس غير واشار عليها ان تطعمه السمك المشوى المطلى بالفيسوخ ورمت الثانية من تحت الكلة مجموعة من المناديل قائلة من هي . وبعد لحظة ارجعت اليها المناديل ومن بينها واحد معقود فامعنت فيه النظر وصاحت هي هي سلفتي احرقتنى احرقها الله دنيا وآخره ونهضت مسرعة متوعدة وسمعت تقول وهي خارجة : « ان شاء الله تدفع قدر ثمنه عشر مرات في الطبيب والحليب » اما الثالثة التي لم ترزق ابنا فنصحتها الصوت ان تبقى الى الآخر وقدمت الرابعة مندبلا لابنتها وسالت هل بينها وبين مخطوبها « مكتوب » ووافق فاجابها بان الحظ مساعد فعليها بالقبول وبالله التوفيق . وقدمت الخامسة ابنها من تحت الكلة فيصقت الدرويشة في فمه لترفع عنه البكية . واما السادسة فنصحتها ان تعود يوم الاربعاء وتستحادث في شأنها ملك الجن الذي اصيب ابنه بالماء الوسخ فتنهضت متثاقلة خائفة راجية داعية بالصحة وبقاء النظر . واتى دور قمر فرمت بمندبل ابنها من تحت الكلة وكانت قد وضعت كمشة مجهولة من النقود وقالت :

— حسن وأمه قمر ، ما هي احواله وماذا سيصنع ومن في طريقه ؟ وسمعت غمغمة ثم اتضح الصوت قائلا :

— حسن يحسن وقته ويقوى سعده حسن يعلى مقامو ويهلك ظلامه وينجى العدو من ورائه وقدامه .

— ان شاء الله من فمك الى السماء .

— حسن ايامه في تحسن ونجمه في صعود فتحت الابواب في وجهه تنتهى غربته بعد اربعة اوقات وتفرح به امه وتأتينا بالوعدة وتحضر السلمية .

— ببركتك ياتيك كبش وما يتبعه . وهل سيعود عما قريب ؟

— لا ادري اربعة ايام او اربعة اشهر او اربعة . . . اعوام

– وبينه وبين حبيبة هل هناك مكتوب ؟

– ابنة العم تفتك من الجحفة ومن حيث خرجت الكلمة تخرج الروح ان شاء الله ما ثمة الا الحير لكن لو اجلت الامر الى ما بعد ؟

خرجت قمر مفكرة لا تدري اتفرح ام تحزن لما سمعته متى سيعود لها ابنها ؟ هل ستصبر على الفراق ان دام اربعة اعوام وهل بينه وبين حبيبة مكتوب ؟ وقبل ان تعود الى منزلها مرت على أمي لطيفة وذكرت لها ما علمت من الدرويشة فقالت :

– رحمة ربنا واسعة ومن تعلق به لا يخيب •

– ارجوك ان يبقى هذا سرا بيني وبينك •

– أوه وهل انا صغيرة ارضع اصبعي حتى توصيني •

عبد المجيد عطية



# القصة التونسية

بني المحرّبين - 1914 - 1940

بقلم : محمد الصالح الجابري

عقبان من تلك العقبات الكثيرة التي تقف في وجه كل باحث • يصعب اجتيازهما ومن غير الهين ان ينصاعا للمجهودات مهما حاولت تخطيها • هاتان العقبتان هما : ندرة المصادر التي ترقد رقدتها المزمّنة في الادراج الخاصة ، تغفو على مداعبات السوس ، والغبار ، وضياح الكثير من هذه المصادر التي كان في الامكان ان تنور سبيل المدارس والمتعقبه لآثار الادب التونسي ، ومن ضلّته القصة •

فمن المعلوم ان جل ما نشر من قصص ، كان بالصحافة التي بدأت الصدور بالرائد التونسي • وما تزال الصحافة والمجلات الى اليوم هي المصدر الذي يسع برحابة كل المحاولات • وقل ان فكر احدهم في اصدار مجموعة قصصية في كتاب خاص او مختارات • ومن ثمة ندرك كم يكون شاقا فيما لو تتبعنا ما صدر من صحف ، ومجلات ، بلغت لحد اليوم ما يقارب المائتين وخمس وعشرين نشرية ، ذكرت ان جل مجموعاتها منقوصة ، ومهملة التواريخ •

واذا اعتمدنا ما كان في الامكان استخدامه وما توفر لدينا من هذه المصادر • فمن وجهة نظرنا ان القصة التونسية هي الآن تجتاز مرحلة الاربعين • • العقد الرابع من عمر طويل • كشفت الآثار على انه ثري ، ومعيق بالتجارب ، والمحاولات • • ذلك الثراء الذي ظل مطموس القيمة ، مبخوسا • حتى الرجال الذين دفعوا العمر من اجله ، من اجل وضع الاساس ، وارساء الدعامة الاولى ، جيلنا هذا يكاد لا يعرف شيئا عنهم • وقد بقوا صورة غائمة في الازهان ، تعبر من آن لآخر ، عندما تجيش الذكريات وتعصف باحدهم فينصبهم شاهدا ، على التعمية ، وعلامة جحود • يطعن به كبرياء هذا الجيل • • وآلان يشجب

هذا الجيل ، تلك الوصفة مدفوعا بما يلقي من الحماس التلقائي ، فيستدير الى الماضي ، يستبطن مجاهيل اربعين سنة . من حياة الفكر ، والادب ، والشعر والقصة ، والرواية وغيرها . ويلتقى هناك بوجوه كثيرة سوف يشهد بصمات العذاب الذي عانته يرتسم بكبرياء بين السطور . فيتعرف اليهم . ويعرف عن بلاده فيهم ما ظل مخفيا الى الآن .

المصادر تقول بان لا وجود للقصة التونسية قبل سنة 1930 . اي قبل سبع وثلاثين سنة . وكلها تشرع لك صفحاتها . وتثبت لك بما ابقت يد العفاء . ان هذا الراي قوى . ويكاد يكون قاطعا وحاسما . وتجد وراء الفكرة لكى تبليغ الاسباب ، تحاول ان تفسر . لماذا تأخرت ولادة القصة ؟ وبما لا يقبل الشك اننا شعب تلامس بحضارة أوروبا . ومجد قصتها منذ ان اشرابت اول بندقية غازية الى صدورنا . واننا شعب عرف القصص المشرقي من زينب هيكل ، الى قنديل ، يحي حقي ، . . . واننا شعب سامر يتعشق البطولات ، ويسعد الليل ، على ضوء الاقمار ، يصفى لاصوات الفيلان ويحدد امداء الصحاري ، مستجدا وزاء شبح بطل خرافي ، ووراء اسطورة مرعبة . اذن فلماذا تأخرت ولادة القصة فينا ؟ ولماذا ظلمنا طوال هذه المدة لا نفتح قصصنا ؟

السبب في نظري يعود الى الكاتب والشاعر الذي كانت له السيطرة على الانفس في كل الفترات . والسبب يعود الى ماعية الجيل الذي حضر واقعة الاستعمار ، وانتصب في الصحابة ما بين الفترة 1881 حتى 1920 . هذا الجيل الذي لم يكن له وعى متكامل بما يجري على الضفاف الاخرى من البحر المتوسط في مجتمع الفكر ، فهو مثلما تصدى لمقاومة الغزو السياسى ، عامل كل ما اتبع ذلك الغزو نفس المعاملة فرفض المعطيات الادبية ايضا للحضارة التي ارتقت دوسه . ومن ضمن ذلك كانت القصة ، لذلك فانت لو بحثت الصحافة الصادرة خلال العشرين سنة هذه ، ومجموعها واحد واربعون نشرية منها على الاقل خمس عشرة صحيفة عنت بالادب . سوف لا تعثر على ما يستلفت الاهتمام ، ويؤكد بان هذا الجيل تنبه الى وجوب حتى ترجمة القصص عن الادب الاوروبى . ولكن الحالة هذه ارتفعت بداية من سنة 1921 . حيث سادت بعض التيارات التجديدية ، فنرى مجلة ( البدر ) مثلا التي ظهرت سنة 1922 ، تخصص ملحقا باكملة في كل عدد من اعدادها لترجمة روائع فولتر وغيرها . نقلها ( الاديب المتقن ع . ع ) .



وتتوجه مجلة ( العرب ) فى سنة 1923 الى نقل النتاج الجديد من تحقيقات مصورة عن السينما ، والمدن ، ودراسات بلشفيه وماركسية ، وروايات ، مساهمة بذلك فى دفع حركة اللقاح الفكرى مما عرض صاحب المجلة آنذاك الى المطاردة من قبل الاستعمار . وكان هذا الجسر الذى مده لتتلاقى الضفتان بمثابة الجريمة التى توجب السجن . ولعل موت هاتين المجلتين ، اللتين كانتا معزوتين بخمس عشرة صحيفة صدرت فى الفترة ما بين 1920 و 1925 ، لحقتها هى الاخرى الافلاس ، والمصادرة ، هو الذى عطل حركة ترجمة القصة . . وشل تحرك الصحافة . التى ران عليها جمود مريع تواصل حتى سنة 1930 ، خلاله لم تصدر اية صحيفة ، عدا بعض ما هنالك من صحف تابعت طريقها ، ولم يلحقها ما لحق الاخباريات وهى ( لسان الشعب ) و ( النهضة ) و ( الندوة ) وغيرها .

وخلال هذا ، خلال الفترة التى انقطعت فيها الصحافة اليقظة ، والمجلات المتفتحة عن الصدور ، كان هناك جيل جديد يتلمس الطريق الى الميدان ، ويظهر من آن لآخر عبر ( لسان الشعب ) و ( النهضة ) و ( الصواب ) فى محاولات ضعيفة . ما عثم ان اشهد الساعد منه ، واستطاعت فى نفسه بذور التمرد ، والثورة ، مما دفعه لان يلج الوسط الثقافى ، مفتوح العين ، والكف ، والذهن . بعد ان برم بالبرود الذى تنسارات عليه هذه الصحافة التى تبنت المحاولات الفاشلة ، وخبرت المواربات ووجد هذا الجيل فى زين العابدين السنوسى ، الرجل القلق الذى يمكن ان يحقق له هذه الغاية ، فجعلوا من ( دار العرب ) بنهج الديوان حاليا موقعا يلجأون اليه . وكان الزين السنوسى اذ ذاك لا يملك غير المطبعة اذ صودر كل ما كان بيديه من امتيازات . فقام بالمساومة على امتياز ( العالم الادبى ) من السيد محمد فخرى صاحبه ووقعت بينه وبين الشاعر سعيد أبو بكر (1) مشادة ، كل منهما يحاول ان يظفر بالامتياز . وآل فى آخر الامر الى الزين السنوسى وكتب أبو القاسم الشاذلى ، الى الاستاذ محمد الحليوى فى احدى رسائله (2) مؤرخة 15 ديسمبر 1929 . ( وبعد فمأذا اخبارك ، انى ليستخفى الفرح حين اعلمك ان العناية السموية قد جادت علينا بمجلة أدبية ،

(1) من أراد الاطلاع على المشادة ما بين المرحوم السنوسى والشاعر كرباكة فاليرجع الى ( لسان الشعب ) سنة 1929 .

(2) نشرت رسائل الشاذلى - دار المغرب العربى - للاستاذ أبو القاسم كرو سنة 1966 .

ستصرف همها الى الادب والى القيام بواجبه في هذه الديار ، فقد احرز الاخ زين العابدين السنوسي على تلك المنية التي طالما صبا اليها وهي اصدار مجلة ادبية علمية نعم احرز على مجلة اختار لها اسم ( العالم الادبي ) ، وقد اخذ في طبع المجلة ، وفي اعداد العدد الادبية اليها ، وقد اخذ منى قطعة شعرية لنشرها في مجلته ، ولا تظن ان تلك اباطيل فان كثيرا من المقالات الادبية قد قدمت للطبع بمحضر منى بل ان بعضها قد كنت حاضرا لتصحيح مسودته المطبعية ولسد لي ان يكون العدد الاول خصباً جم الانتاج حتى يكون شجاً في حناجر احلاس الجمود وطعنة في اكبادهم ، وغلة لا ينطفئ لها لهب في عباد الموت ، وامساخ القديم ) .

ويقول الاستاذ محمد الفاضل بن عاشور في كتابه « الحركة الفكرية والادبية بتونس في معرض التعرض لهذه المجلة (3) ص (163) ( وكان اهم اعمالها التنويه بالتطور الادبي في تونس بنشر اشعار المجددين والاعتناء بدراساتهم ، وينشر القصص والروايات وتوجيه التطور لنقل القصص الرائعة عن كبار الكتاب باللغة الاجنبية ونشر الاخبار عن الحياة المسرحية ، ومقالات النقد المسرحي . فكان لها الاثر العظيم في ترقية الآداب والفكر والفن ) .

اما اهم ما نسجله لهذه المجلة الرائدة ، هو خلقها لاول ( تجمع قصصي ) او بالاحرى لاول مدرسة قصصية ذات ملامح تونسية ، متميزة . وقد وصف الاستاذ الفاضل بن عاشور في كتابه المذكور ، هذا النوع من القصة بانه كان يمتاز ( بجمل تصويرية متناسقة تعتمد ابلغ وسائل التصوير في اللغة العربية وانسب الاعتبارات بالتخييل في الابتداء بأكثر المقامات او الجمل تشويقاً لروح القصة وحسن ترصيع الرواية بالحوار (4) ) . وكان واضحاً ان هذه المجلة كما ورد في احدي تعاليق ( الزمان ) بتاريخ 25 جانفي 1932 ( هي المشروع الوحيد الفعال الذي كان يهدف لاقامة التوازن بين المساعين لوضع الثقافة الاوربية وكنا اماسيا في البلاد ، والمتقاعسين عن احداث رد فعل ، واقامة الآداب العربية على قدم المساواة ) . وتبعاً لذلك نرى المشرفين على تحرير المجلة ينقسمون الى جماعات . احدها توجهت الى كتابة القصة وهم : الزين

(3) صدر كتاب ( الحركة الفكرية والادبية بتونس ) للاستاذ محمد الفاضل بن عاشور عن معهد الدراسات العليا - بالجامعة العربية - سنة 1955 .

(4) المصدر السابق ص 170 .

السنوسي ، وعبد الخالق البشروش ، والتجاني بن سالم ، وأبو القاسم الشابي ، ومصطفى خريف . واخرى أولت اهتمامها لترجمة الروائع الادبية ، ودراسة مؤلفيها . ومن بين هؤلاء عبد العزيز الوسلاتي ، ومحمد الحليوي ، وزين العابدين السنوسي ، والهادي العبيدي ، وعلي الدوعاجي . ولقد كانت هذه هي أولى الحركات القصصية بتونس التي صدرت عن جماعة من الشبان الواعين ، تعددت اساليب الكتابة بينهم ، وتنوعت طرق التعبير عندهم ، وتفرغت زوايا اللقط والعرض في نتاجهم مما جعل آثار هذه الحركة تنعكس انعكاسا سريعا على المجالات والصحف الاخرى . فيكتب الاستاذ محمود المسعدي لجريدة ( لسان الشعب ) ( 12 فيفري 1930 ) بحماسة وابتهاج مساندا هذا التيار بقوله : ( يجب ايها التونسيون أن يكون لنا أدبنا ، أدبنا القومي . . أدبنا العربي . . أدبنا الاسلامي . . والمؤلفات التي من واجبنا تأليفها . . من واجبنا ايضا ان نأخذ مواضعها من التاريخ العربي . أفلم تبصروا الى مؤلفي الامم الافرنجية كيف تميزوا من التاريخ مواقف تتجلى فيها عظمة النفس جلاء مبينا ) . ويذكر الشاعر جلال الدين النقاش في جريدة لسان الشعب ( في 12 جويلية 1930 ) ، أن احد اصدقائه بعث اليه في هذه الفترة بقصة مطولة عنوانها ( الحظ في الحب ) جعلته يكتب كلما بمناسبة قراءتها . جاء فيها ( اما الاديب الحقيقي فهو غائر الحظ لا يتزود من حياته الا بنقشات فؤاد اضمنته المصائب وآلمته طوارق الايام . فلك الله ايها الاديب ما اعظم شقاءك وما اشد تعاستك ) . والقصة التي كتبت من اجلها كلمة التابين هذه . لا نعرف عنها اي شيء . .

ويرتئ الاستاذ بن عاشور ان القصة هذه . التي تزعمت مجلة ( العالم الادبي ) احتضانها اشتقت نفسها من المسرحية التي كان لها فضل السبق عليها فيما كتب المرحوم كرباكه ، ومحمد الحبيب ، والجعايب ، واحمد خير الدين ، من مسرحيات يرجع تاريخ بعضها الى سنة 1911 . وفي موضوع آخر من كتابه يقول ( ص 175 ) ( إن ما نشرته مجلة ( العالم الادبي ) من اقصيص . كان ذا لون تونسي متحد من صميم الحياة الشعبية والنفسية العربية . . وما انفك زين العابدين ينادي بوجوب تحرير القصة من طوابع الحياة الفرنسية . وابرازها صورة للحياة التونسية الشرقية بما فيها من ألوان واذواق ) . والواقع ان القصة التونسية منذ بدايتها لم يظهر البتة انها متأثرة بالطابع المسرحي او بالموضوعات المسرحية . ولا بدى انها لامست طابع

الحياة الفرنسية • لا من حيث الأسلوب • ولا الفكرة • فقد ولدت وهى تحمل ذاتية تونسية • حاولت الحفاظ عليها طوال حياة هذه الجماعة التى كان أفرادها من أشد المتحمسين لفكرة تونسية الأدب • وخلق كل التصاوج الأدبية من مسرحية ، ورواية ، وشعر ، وقصة مما يفتقر اليه مجتمعهم ويوثق صلاتهم بالعالم المعاصر • وكان جل القصاصين هؤلاء يحكم منزلتهم الاجتماعية وانتمائهم للاوساط الشعبية ، وتأثرهم بمجتمعهم ووعيهم بمشاكل شعبهم ، يولون هذه المشاكل الاهتمام الاول ، ويكتبون عنها ، وينقلون صورها • فكان الزين السنوسى فى جميع قصصه التى كتبها فى السنة الاولى من صدور ( العالم الادبى ) 1930 وهى ( الحبيبة ) و ( عزاء العروسة ) و ( من ضحايا الانقلاب ) يصدر عن فكرة واحدة وهى مكافحة الغزو ، الذى جرف بعض المقلدين لان ينصاعوا الى التيار ، ويقعدوا ذاتيتهم الحضارية • • ويصور ابطالا ذهبوا ضحايا للانقلاب الذى لم يستطيعوا تحديه • فهم يفارقون مواطنهم ، وبيوتات اجدادهم فى المدينة العتيقة ليكونوا طعما للمدينة الجديدة • تبتلع مابقى لهم من امارات البلاد • هذه هى حدود قصصه لم تتمد هذه الفكرة • • يوازى بين بيئة يراها تغرق الغاء وتنتظر واخري تسعى اليها لتكون الضحية • ولعل هذا هو الذى جعل الأستاذ الفاضل بن عاشور لان يقول عنه ، بانه القصاص الذى كان يدعو لوجوب التخلص من طوابع الحياة الافرنسية فتشابه المعنى بين المضمون القصصى لقصص الزين السنوسى وبين كونها دعوة موجهة للادباء • وكان البشروش ايضا قاصا اجتماعيا ومن الذين اختطوا الاتجاه الى الواقعية ، وهو ثانى قصاص يظهر مباشرة على صفحات العالم الادبى فينتشر على التوالى طوال السنوات ( 1930 - 1932 ) قصصه ( الطيب بوغدير ) و ( على العياري ) ، و ( من تكون الساحرة ) ، و ( زوجة احمد شرودة ) ، و ( استعباد البنين ) • • و ( البرية ) • • ثم ينهى حياته القصصية بثلاثية ( فنان ) التى نشرها فى أول عدد من اعداد المباحث جانفى 1938 • وهى قصة تتركب من اجزاء ثلاثة حاول الكاتب ان تكون خاتمة كفاحه الادبى ، وقد صب فيها مرارة ما استشعر خلال حياته الادبية من ضنى ، وتهدم ، ووحشة • وهو الذى اراد دائما فى كل قصصه ان يترجم عن آلام الناس ، وينقل لنا المجتمع الذى يعيش تجربته • تارة مسقط رأسه دار شعبان بين حقول الياسمين ، والغفل والبرتقال وحمار يقطع احدى الازقة • • وفتى من فتيان القرية ينتحر فى ظلال خيبة حب رومنسى قاتم • وآونة يحملنا هذا القاص الى نقطة حيث ،

عمل كمعلم بتلك الجهات مدة ثلاث سنوات ، مع ابنة شرودة . . التي شردها  
تظلم المجتمع الى بؤرة العار ، وامكنة الحنا . محاولا في كل ذلك ان يعطى  
قصصه هذه اطارا من مكونات البيئة التونسية ، ويخلع عليها من انفاس اهل  
وطنه ما يجعلها وثيقة الصلات بهم وبأحاسيسهم . ومما يؤكد رأينا هذا هو ان  
الاستاذ ابراهيم بورقة المحامي وهو ناقد الغريال ، وشاعر معروف زار في  
احدى المرات مطبعة دار العرب ، وكان احدا اعداد المجلة تحت الطبع ،  
ويحتوى ضمن موادها على قصة ( على العياري ) وموضوعها تصوير  
نفسية احدا العمال الذين تنشأ بينه وبين شيخ احدا الطرق  
والزوايا خلافات ناشبة عن عدم مد العامل للشيخ المذكور بمال الاحسان ،  
فيتوعد الشيخ العامل بانزال الشر عليه . ويتسبب ذلك في ارباك العامل  
المسكين وادخال هوس نفسى عليه . وذات مرة بينما هو يؤدى عمله داخل نفق  
منجم المتلوى اذ بالتراب ينهال عليه ، وتنتهى القصة بالعامل عند نقله الى  
المستشفى يعانى اللحظات الاخيرة . ويعلق بورقة في اسفل الصفحة المنشورة  
بها قصة ( على العياري ) سنة 1932 قائلا : ( ولقد توفى على العياري متأثرا  
بجراحه ) .

## ARCHIVE

ومن بين من عزز الواقعية ، التي كان هذين القصصين رائدها وطلعتها . .  
التجاني بن سالم . وقد كتب قصة وحيدة . هل كان مجنونا ؟ نشرت بالعالم  
الادبي سنة 1932 . وفيها يطرح مشكل الجنس . كاتورينة الحسناء جارتهم ينبه  
ديكها الكثيرين الى مراجعة أوقاتهم . فقد كان المرحوم والده ينهى نوافله كلما  
صاح هذا الناق . . اما هو فالديك عنده هو صيحة الجنس حين يتلمس في  
البطانية ، ويأتى شريط كاتورينة . وهى تبيع الحمر داخل الحانوت . . ثم وهى  
تبيع الحليب خارجه . وسامع مصطفى خريف مع جماعة ( العالم الادبي ) بقصة  
( دموع القمر ) التي تنحو هي الاخرى منحى واقعي . تنقل حياة الواحة في  
الليل . . عندما يبكي القمر على تكسر صفحات الاودية ، وهو يشهدهم يسمرون  
مع باطية الحمر ، ولا يستطيع الوصول . وجر هذا التيار فيمن جر أبا القاسم  
الشابي ليكتب ( روح نائرة ) بأسلوب قصصى في العدد الرابع من سنة 1932 .  
وعلى الدوعاجي الذي نشر في السلسلة الاخيرة من العالم الادبي رحلة السعادة  
الى كرسىكا الذي ظهرت فيما بعد بعدة مجلات اخرى نقلتها عن العالم الادبي ،  
وظهرت في السنوات الاخيرة مطبوعة في كتاب مستقل .

والى جانب تيار الابداع والحلق ، أسهمت هذه المجلة بمجهود يعادل هذا حماسا واخلاصا واندفاعا فى الترجمة اذ تقلل ( المحدث ) و ( الراوى ) و ( القروى ) وهى اسماء مستعارة لزين العابدين السنوسى والبشروش ، وكذلك الوسلاتى والدوعاجى ، وللعبيدى نقلوا القصص عن الفرنسية والاطالية ، وترجموا الروايات والمسرحيات . وانتهت ( العالم الادبى ) حياتها بعد ان كان لها شرف دعم اساس القصة ، ووضع اللبنة الاولى فى الصرح الذى عمره الآن سبع وثلاثون سنة - بتفرق الجماعة اثر معارك نشأت بسبب الادب واختلاف وجهات النظر . فانفصل البشروش ، متحديا الاستفتاء الذى نظمته العالم الادبى سنة 1932 لانتخاب شعراء ثلاث من بين سائر الشعراء فى تونس يحمل أولهم لقب أمير الشعراء . ولا ادرى ما هو منصب الآخرين ! . وطفق فى مقالات اربعة نشرت بالزمان ابتداء من 5 ديسمبر 1932 ، يهاجم عبد الرزاق كركباكه ، ومحمود بورقيبة ، والطاهر القصار ، هاويا على ما اسماء بالصنمية ، وعبودية الشهرة . واستمر يكتب الدراسات ، والموضوعات ، بعيدا عن القصة الى ان اصدر ( المباحث ) وقصته الاخيرة ( الفنان ) . معربا عن وجهة نظره تجاه الادب والثقافة فى افتتاحيتها التى تقول :

« أرى من واجبي الوفاء الى أرواح ابن وشقيقه / وابن شرف وابن هانيء وابن خلدون والشابي ، فى هذه البلاد التى خلدوا فيها بمآثرهم روح الحضارة العربية والفكر العربى . أرى من واجبي المحافظة على ما بذروا من صالح الغرس . بدمى وجوارحى وعقلى ، اشعر بتضامنى مع الاجيال الماضية من أمتى ، وأرأى خائن لهم غادر اذا أنا انحرفت عن روحهم الذى كانت به هذه الأمة أمة » .

واتبع التجانى بن سالم نفس السبيل فى الانفصال عن ( العالم الادبى ) فأسس جريدة ( الواجبة ) باسمه فى 16 اكتوبر 1936 . ( على مبدأ الحزب الحر الدستورى التونسى ، وقد رأيت تلك المبادرة واجبا محتوما لشدة إيماني بحاجتنا الى الضمانات والكفالات ولحسن طنى بالحياة الحزبية والتشاريع البرلمانية . قالوا جهة لسان ناطق يطلب العدل والحرية والمساواة ودعوة حارة للعمل والانتاج فى ميادين الاقتصاد والعلم والادب ) .

وانفرط جمع البقية الباقية ، وهم الحليوى ، وابراهيم بورقعة اللذان تأثرا بموت الشابي وقد كآه - - - - - تجمعهما به ( صداقة تبلغ درجة الهيام ) ( الفكر 1960

مقال للحليوي ) • بينما أسس مصطفى خريف جريدة الدستور • ( لنحمل مع رجال الحزب الدستور قسطنطين في الجهاد • ونضرب مع الوطنيين الاحرار بالسهم المستطاع جاعلين نصب اعيننا العبء القادح الذي تركه اسلافنا ) ( الدستور 27 أوت 1937 ) •

وتجمع الدوعاجي والعبیدی ومحمد العربي مكوّنين اصدقاء ( تحت السور ) بمعية محمود بيرم التونسي الذي جاء الى تونس في ديسمبر 1932 • واغتنموا الفرصة التي أباحت فيها حكومة الواجهة الشعبية ، للصحافة بالعودة من جديد • فأسسوا ( السور ) والشباب • والسردوك • • ومن ثمة نلاحظ ان الانفجار والتصدع الذي انهي حياة ( العالم الادبي ) ، كانت له عائدات جمة على تعدد الجبهات التي ظهرت على الاثر مع خمس وثلاثين صحيفة ، ومجلة • • اطلقت لها العنان حكومة ( ليون بلوم ) بموجب الافراج عن الصحافة في اقطار ما وراء البحار في سنة 1936 • وزاد بذلك رصيد القصة • • وطلعت وجوه واقدام جديدة على الادب • قبل ان نتعدى لابرار ملامحها ، واستكشافها ، تجدر وقفة عند الدور الذي لعبته جريدة الزمان ابان الجفوة التي حصلت بين العالم الادبي • • وكتابه • • وهي التي اظهرت تقدمية كبيرة واحاطت نفسها باولئك الشباب ومن بينهم البشروش والدوعاجي وبيرم التونسي • الذي نشر مجموعة من الاقاصيص والمقامات والمذكرات اذ بين 20 خانفي 1933 الى نهاية 1935 كان لها الاثر الكبير في التوجيه الفني للقصة الذي يزاوج فيه بيرم بين احداث الاساليب • • وبين المضمون الاجتماعي ، المتأصل في الواقعة • والذي سري اثره في الكثيرين من الشباب الذين اعجبوا ببيرم ، وترسموا خطواته الادبية • من ذلك قصص ( وراء الستار ) و ( الجارة المجهولة ) و ( زنوج باريس ) • • كما اعتنت الزمان بالدراسات القصصية فنشرت مقالا عن ( القصة والتجرد فيها ) ل محمد البشروش في 20 فيفري 1934 وهو الموضوع الذي ورد ذكره في الرسالة (12) المؤرخة في 15 فيفري 1935 ، والتي نشرها الحليوي ضمن رسائل الشابي ، وفيه يقول :

« لتكن القصة التي كانت فكل ما تتلذذه فيها هو ان تفتح في نفوسنا آفاقا وان تأخذ بنا الى حيث طاب لها القرار فنحس الذي تحس ، ونقاسمها ( الشعور ) •

ويظهر ان الاتجاه نحو الانتاج القصصي بلغ شأوا بعيدا في هذه الآونة •

حيث يقوم الاستاذ محمد المرساوى بالقاء محاضرة مطولة عن تاريخ القصة فى الاداب المختلفة عن منبر اتحاد الكتاب والمؤلفين . نشرت الزمان نساها فى تاريخ 18 جانفى 1934 . ثم لم تلبث ان ظهرت على صفحاتها متسلسلة من تاريخ 22 جانفى 1934 الى 27 فيفري من نفس السنة . وهى محاضرة جديرة بالعناية : يعرض فيها المرساوى لمختلف تيارات القصة بشمول ووعى . وينهيها بدعوة حارة للادباء التونسيين الذين « مع الاسف لم اعرف لهم قصة مؤلفة حائزة على الشروط الفنية للقصة » بل ان كل ما كتب لحد الآن لا يخرج عن دائرة المحاولات نحو الاقصوصة لا القصة . وهذا نقص عظيم فى ادبنا التونسى ) . وفى هذه المحاضرة يحاول السيد المرساوى ان يستقرى العوامل التى سببت هذا التخلف ، فى قوله :

« ان السبب يدور لنا فى ضعف الثقافة العامة بين ادبائنا ، وعدم استقرار امورنا الاجتماعية والسياسية » وانعزال المرأة التونسية من المشاركة فى الحياة الاجتماعية انعزالا مطلقا » .

ول تأخرت محاضرة المرساوى بضعة ايام عن موعدها . لوجد له مجالا للحديث عن القصة التونسية . فى القصة المطولة التى نشرتها ( الزمان ) فى اعدادها الصادرة ما بين 18 ديسمبر 1933 و 16 جانفى 1934 . خمس حلقات بحجم نصف الصفحة من جديرة يومية . تحت عنوان ( نجاة ) . لمؤلفها الاستاذ محمد زروق . ففى آخر حلقات ( نجاة ) نجد النبأ عن المحاضرة . وربما يكون المرساوى لم يطلع على هذه القصة أو انه أعد محاضراته قبل هذا الوقت بكثير . فوجدت الصرخة التى اطلقها مجالها ليقارن ، ويستقرى . ويحكم أخيرا على قصتنا بخلوها من المحاولات القصصية المطولة . والذى يدرس قصة ( نجاة ) يتحسس التطور الفنى للقصة التونسية ، والمضمون الجديد الذى أراد زروق ادخاله على الواقعية . وهو يعنى فى استخدام الحوار ما امكن ، موضحا تباین شخصوه ، وأبعاد قصته ، متخطيا أساليب السرد الجاف . ومتجاوزا الواقعية التى تعتمد العاطفة ومجرد المشاعر فى الانتصار للطبقات المهضومة الجانب . الى واقعية تتحدث عن الارستقراطية ، والمساواة . وتدعو الى هدمها من اجل العيش المرفه للجميع . وقصته هذه التى تصور شابا أحب فتاة ، دونه فى الطبقة والمستوى المعيشى يقف والده الارستقراطى سدا قاهرا عواطفهما ، تاركا النار تلتهم كلا منهما على حدة تعطى الغلبة فى نهايتها الى القبضة



الارستقراطية التي تضرب بلا رحمة على قلبيهما وتترك الابن وهو يلفظ  
انفاسه يستغيث بصديقه مصطفى الذي حاول ان يوفق بلا جدوى بينه وبين  
والده ..

« انى شقى .. نجاة هى حياتى . نجاة هى آمالى . نجاة لا اقدر ان اراها  
زوجة لأحد سوى . واذا شامت المقادير ان افارق نجاة الى القبر . فاود منك  
شيء واحد . وهو أن تأتى وتزف الى خبر انقراض الارستقراطية الأئيمة وحلول  
المساواة بين طبقات الشعب » .

ومحمد زروق هذا من رجال الاقتصاد ، وهو من مواليد القيروان . ما يزال  
على قيد الحياة ، نشر فى جريدة ( التقدم ) 4 جانفى 1910 ( نصح وارشاد )  
وفى ( اظهار الحق ) فى 29 ماي 1904 ( تهنئة حبيب ) وهما موضوعات أدبية .  
واصدر مجلة علمية أدبية هى ( تحقيق الأمل ) سنة 1905 . وله كثير من  
الترجمات الى المسرح مع السيد محمد الحبيب الكاتب المسرحى المعروف . واذا  
لم يكن هو أول قصاص تونسى يكتب قصة طويلة ، فهو أول قاص تونسى  
يرتفع بقصتنا المطولة من المحاولة الى الاجتهاد . ومن مجرد الواقعية التى  
تصطبغ بالعواطف وتندفع بالشاعر والاحاسيس الى واقعية تؤمن بالمبادئ  
وتتبني العضلات البشرية الكبرى : العدل ، الرجاء ... المساواة . لأن  
الاعتقاد السائد هو أن القصة الطويلة الاولى التى لم يظهر لحد الآن غيرها هى  
تلك التى نشرها المرحوم محمد الصادق الرزقى بعنوان ( الساحرة التونسية )  
ما بين ( 1910 - 1985 ) وهى عبارة عن خرافة مركبة فى اطار تاريخى . تتخذ  
لها فترة التاريخ التونسى مجالا زمنيا ... وتترك فيه لكثير من العادات  
والتقاليد ، بان تظهر وسط خرافة .. بطلتها ساحرة تعيش مع الجنيات  
والجماجم ، ومؤلفها الرزقى من الذين امضوا جل اعمارهم فى دراسة الادب  
الشعبى التونسى ، وله فى هذا الموضوع كتب ومؤلفات . وقد كتب قصته هذه  
بأسلوب تقليدى لا يخلو من طرافة وحيوية ، وصفاء وتشويق . والفرق بين  
قصة ( الساحرة التونسية ) وقصة ( نجاة ) هو الفرق بين الفترتين الزمنيةتين  
لكلتيهما وواقع كل من الكاتبين وتباين اتجاهيهما . ولربما ايضا تكون أولى  
الاقتوصات التونسية هى التى نشرت بالعدد 6 - 7 من ( البدر ) بامضاء  
المختار ، وبلا عنوان ، فى منتصف رجب 1340 ( 1922 ) وهى تحكى حوارا  
مستمرا بين راكب فى احدى الارتال ببباريس وقاطع تذاكر بالرتل ... قاطع

التذاكر يمنع الراكب عن التدخين ، والراكب يحاوره .. ويصر على التدخين ، ولكن ليس هناك ما يوضح انها تونسية عدا امضاء المختار . الذى قد يكون المعنى به صاحب الاختيار . او النتاج المختار .

ولئن اوجب البحث ان نحشر ما امكن التعرف عليه . فالقصة التونسية خلال السنوات العشر ( 1930 - 1940 ) لم يكن لها غير الرباعى الذى ذكرت سابقا محمد البشروش ، والدوعاجى ، والعريبي ، وزين العابدين السنوسى ، تستند اليه فى الانتاج . وهم الوجه الحقيقى لقصتنا ، وهم الوفرة الذين اعتنت بانتاجهم القصة ، اثنان منهما . البشروش والسنوسى انتهيا عند حدود سنة 1936 فى قرار الواجهة الشعبية الذى اعاد الصحافة . بينما بدا على الدوعاجى ومحمد العريبي فى هذا القرار طريقهما من جديد . وحتى سنة 1940 فقط - وهى الفترة التى يسجلها هذا البحث - نجد الدوعاجى ينشر قصص (جارتى) بالتطور الاجتماعى سنة 1936 . و (مصباح فى الظلام) ثلاث حلقات لم تتم من قصة حلاق يراود امرأة ( بالقلم الحر ) تاريخ 26 جوان 1938 الى 17 جويلية من نفس السنة بالاضافة الى رحلة كرسىكا بالعالم الادبى . ونشر محمد العريبي ( بالسردوك ) 30 افريل 1937 ( ليلة 27 ) و ( قلب للكره ) ( 12 ماي 1937 ) وبنات اليوم (5) ( بالقلم الحر ) سنة 1938 و ( حوار فى الظلام ) فى العدد 29 من جريدة (ضبرة) 1937 و (النهد المجرم) بنفس الجريدة . وهذان القاصان تميزا بروح الثورة والسخرية والتهكم ، ونقل المجتمع عابثا هازئا مازحا . فالدوعاجى كان يصطاد موضوعاته من جاراته اللاتى كن يحاولن ان يصطنعن الابهة . وهن يدارين بذلك وضعهن الاجتماعى ويجيل بمنظاره فليتقط الحلاق الذى تستضى لافته بمصباح الشارع ويتشمم النساء المتبرجات ، واجدا فى العطر خيطه الذى يقود الى طرح معلوماته وفتح النافذة بينه وبينهن . ولكن الدوعاجى تتعمق نظرتة للمجتمع والحياة بعد سنة 1940 فى القصص التى كتبها للثريا والاسيوع ، والمباحث ، والحكم عليه فى هذه الفترة ، قد يحمل الكثير من التجنى والعجلة . وهو بخلاف العريبي الذى لم ينتج بعد سنة 1940 سوى قصة ( الرماد ) التى ارسلها من برازيل . يوم كان مديعا باذاعتها ، فهو بعد ان زج به فى السجن اثر واقعة 9 افريل .. عندما

(5) نشرت هذه القصة ( بنات اليوم ) بدون امضاء العريبي . ولكننا اعتمدنا فى ارجاعها اليه الى عدة اسباب منها : وضوح أسلوبه الموارى فيها ، والذى عرف به هو دون بقية القصاصين . واعتمدنا كذلك رأى بعض ما عاصروه ، وكتبوا معه بنفس الجريدة المذكورة .

كان يرأس جريدة (صبرة) القيروانية ، يهاجر الى فرنسا ومنها الى برازافيل .  
والحوار في الظلام الذي كان يروق له ، هو صورة من حياة الذين تردوا من  
الطبقة الشعبية في مهابو الرذيلة . هذا الاديب كان يملك براعة فائقة في  
الحوار واقتحام الانفس البشرية ، وتحليل اهوائها . وبعض ما كتب من  
قصص ، تجد فيه خطرات من المنولوج النفسى فى مثل ( قصة ليلة 27 ) التى  
تذكر فيها البطلة كل حياتها بموجب الذكرى . فليلة 27 هى الليلة التى  
خرجت فيها الاسواق لأول مرة . واعترضها هى ورفيقتها من بنات الجيران  
شابان ، ألحا عليهما . فصعدا فى ( الكاليس ) . وقال احدهما للسائق :

– البلفيدير يا خويا .

وما هى الآن ( البطرونة ) تصيح فيها . لماذا لم تقبل عبد السلام . وتتوالى  
الذكريات . البطرونة . عبد السلام . أمها . الاسواق . رنين الكاليس  
والبلفيدير . كل ذلك وهى فى فراشها مع ذمتين تتحدران على الحدين .  
وحيدة مرهقة . والعربى هو القصاص الذى تبنى المثل الفرنسى الذى قدم به  
قصته (قلب للكره) (لتن على رأس دبوس قصرا . . يكون أثبت من حب امرأة)  
ودائما الحوار . . والجنس . . والمرأة . . فالنهد عنده مجرم . ذات مرة طلبت  
اليه ان يحقق رغبته فى الادلاء بشهادة زور . . وكان يستهيه . وبينه وبين  
نهدما الذى كان يندفع ، متعاليا يدور صراع . انتهى به الى ان يكذب . . وفى  
الاخيرة كذبت عنه . وخلته يدور فى الظلام . وحين تقرأ نثر العربى تعرّوك  
غربة عظيمة من هذا الذى يقص الاقاصيص على هذا النحو ويكتب بقلم ثائر  
متمرد . يتقد حماسة ويحمل الى السجن . قلم أشد من ذلك السعير الجنسى .

فالحرية هى ( زغرودة الرصاص ودوى القنابل ، وأنين الجرحى ، وهمهمة  
الحيل وصليل السيوف . من الذى تمسقها ولم يمهرها الروح والدم ) ( من  
مقال على باب الحرية ( صبرة ) 1939 ) .

ومن السعيدين كانت حياة العربى العاصفة الجامحة الدوارة التى اختارت  
ان تختنق بالغاز فى بيت معزول باحدى ضواحي باريس ليلة ولادة المسيح  
بالذات . . . . فى ديسمبر 1945 .

ولكم يبدو آسيا حين نتيين ان هذه الفترة على امتدادها لم تترك غير قصاص  
وحيد تميز بالنضوج واستطاع ان يضرب خلالها بسهم وافر ويتخطاها الى

فترات اخرى . فيكون الدوعاجي هو النتاج الواضح والمتطور والنامي لذلك الجيل . وهو الحلقة التي واصلت تاريخ القصة وحافظت على خط المسار ، وأثبتت التحولات التي طرأت على القصة التونسية . فالسنوسي والبشروش كلما ما حققاه هو أنهما كانا رائدين مثابرين ، وأثبت العريبي جدارته كقصاص لفترة ما قبل الحرب الثانية . ويبقى الدوعاجي كما ذكرت وحده من بين أولاء الاربعة نموذجاً تلتقى فيه ملامح القصة بمختلف مراحلها يقاسمه هذه الخطوة بعض من ظهر من الشباب في السنوات الخمس ما بين ( 1936 - 1940 ) وهم من نراهم اليوم يتبأون منزلة محترمة في قصتنا الحديثة من امثال محمود المسعدي ، والبشير خريف ومحمد المرزوقي وتوفيق بوغدير . فهؤلاء الاخيرين أيضا أسعدوا بالمشاركة في ذلك الدور وكتبوا قصصا هي على تواضع مستواها وقلتتها تصلح كشهادة ميلاد تؤكد البداية ، والمنطق . فالمسعدى كتب خلال هذه الفترة ثلاث اقصوصات من نمط الاحاديث . نشر حديث ( العمى ) في 26 جانفي 1939 . وحديث ( الكلب ) في نفس السنة بجريدة ( الزمان ) وثالث اقصوصاته ( نسخة ذلك كذلك ) المنشورة بالمباحث 1940 . وتحمل جميعها الاسلوب الذي عرف به المسعدي في استخدام المقامة ، والكلف باللغة المشرقة . ونشر بشير خريف قصة ( ليلة الوطنية ) بجريدة المستور ( ع 3 - 10 ديسمبر 1937 ) . بامضاء ( الصمصام ) . وتحكي قصته عن عاشقين يحقان لقاء فوق احدى السطوح ليلة « وطنية الغروس » . مستعملا في ذلك الحوار باللغة الدارجة . اما المرزوقي فقد نشر ( جريمة حسب ) بالعدد الثاني من مجلة ( التطور الاجتماعي ) 1936 وهي مجلة اشهارية باللغة العربية . وقصته تروى عن محبين من الجنوب . ماتا في يوم واحد فداء لبعضيهما وهي مفرقة في البكائية وافتعال الصدف . ونشر توفيق بوغدير أولى قصصه في مجلة ( الافكار ) جويلية 1936 وهي ( قبلة الموت ) تتحدث هذه القصة ايضا عن الحب بين عشيقيين من البادية يختلسان هزيعا من الليل ليتلاقيا على ضفة وادي ، فيصادف انهما يتعانقان ويقعان في المجرى ويذهبان فدية الحب . وتغلب على هذه القصة مسحة الاكتئاب والرومنسية ولما كانت تلك الاقاصيص هي البداية الى ما أنتج هؤلاء بعد ذلك فلا مجال لان نزيد في التحليل والايضاح .

وازاء الجماعة هذه التي تبدأ بالدوعاجي حتى توفيق بوغدير كان هناك من يحاول كتابة القصة . محاولات ضائعة . يظهر اصحابها وسرعان ما يختفون وغالبا ما يفعلون ذلك باسماء مستعارة يجربون وراءها حظه من النجاح . من

هذه الفئة نور الدين بن محمود الذي نشر بمجلة ( الافكار ) عدد نوفمبر 1936 قصة ( شاب وشيخ ) : الشاب من المدمنين على تعاطي المخدرات والشيخ من المصلحين الذين تقود صحبتهم الشباب الى سلوان « الكيوف » . وعلى الجندي الذي كتب ( مامية ) بالعدد الثاني من مجلة ( التطور الاجتماعي ) 1936 مامية ابنة الشيخ الحزار التي يدفعها الكبت لان تهرب من بيتهم مستنجدة ببيت « سيدنا القاضي » . ونصر المرزوقي وقد كتب ( الضحية ) بالافكار سبتمبر 1936 . والشاذلي ضيف الله الذي نشر قصر ( بالزمان ) عنوانها ( صديقي والحمر ) في سنة 1938 يصور فيها حياة قرية تنتج الكروم . ومصطفى المؤدب انتج قصة وحيدة بلا عنوان يصور فيها حياة رجل يطلق زوجته ليتزوج باخرى ضاربا عن الاخلاص صفحا نشرها ( بالافكار ) 1936 والاديب المعروف الهادي العبيدي كان من بين هؤلاء الذين ساهموا بقصة واحدة هي ( فطومة ) ظهرت ( بالقلم الحر ) ( II نوفمبر 1938 ) وتروي مأساة فتاة يدفعها أهلها للزواج من رجل هرم ويحملوها على ان تنجب له ابنا من غير صلبه يكون السورث لما سيترك . وعندما تفعل ذلك تضع الفتاة ولدا . . . أسود هو ولد (بابا مرجان) ويكتشف العجوز في النهاية اللعبة . ويثار لنفسه بالطلاق . وهناك حسن المجيدي الذي نشر قصتين بمجلة ( الحياة ) لمحمد بن فضيلة . أولاهما في II أكتوبر 1936 تحت عنوان ( أب عصري ) والثانية ( ضحية المال ) بتاريخ 13 نوفمبر 1936 وكتاهما تهتمان بالمشاكل الاجتماعية العصرية . وكذلك نور الدين بن رشيد ، وقد نشر هذا الآخر بمجلة ( الحياة ) ، ( كيف العمل ؟ ) في 29 نوفمبر 1936 . ومن الاسماء المستعارة التي ظهرت في تلك الفترة ( السائح التونسي ) بالقلم الحر . ونشر هذا السائح قصصا ثلاثا تحت عنوان واحد هو ( اسم نحكيك ) بالاعداد 16 ماي 1938 و 12 جوان و 18 جوان من نفس السنة وهو يحكي دائما عن الفتاة المتعلمة بالمدراس الاجنبية . كيف تخون ؟ . ما هي المشاكل التي تلد معها ؟ وكيف تستثمر غرورها ؟ . وتشهر معرفتها للمكاند والحيل . كذلك نشرت ( أم بنات ) تحت نفس العنوان اسم نحكيك ( بالقلم الحر ) 5 جوان 1938 قصة عن البنات ومشاكلهن في الحب العصري . ومن الاسماء المستعارة التي اهتمت بالحياة الجديدة ( فداوى الحياة ) الذي كتب ( منانة ) بمجلة ( الحياة ) في 2 أكتوبر 1936 و ( لقاء ) في 23 منه . و ( في الحياة ) 6 نوفمبر 1936 .

وان هذه العجالة لا اقل من انها تلفت أنظارنا الى وجوب الالتفات نحو هذا

التاريخ الحافل بالمحاولات ، والاجتهادات ، وبالأدباء الذين احترقوا شموعا على طريق معرفتنا خلال سنوات طويلة ، استطاعوا ان يثبتوا فيها الدعائم التي ترسو عليها قصتنا اليوم . بما لهم من امكانيات ضئيلة ، وجهد متواضع . وهم بقدر ما سعوا لأن يمكنوا للفكر . للقصة . والشعر . والأدب كانوا في طليعة من ضحي . وغامر بالمال ، والعرق ، والجهد إنقاذا لهذا الوطن . ولكن الحرب الثانية أثت على كل ما ابقوا . . . على الصحف التي أسسوا . . . على نادى ( دار العرب ) على ( تحت السور ) وشردت جمعهم ذلك التشرذ الذى لم يعودوا بعده الا مع طلائع سنة 1945 . وقد كتبت ( الاسبوع ) سنة 1946 . مقالا بعنوان ( دكاكين الثقافة ) تصف حالة ما قبل الحرب . وحالة الادباء بعدها . قائلة : ( وكان الادباء التونسيون والمفكرون يجتمعون فى دكاكين نستطيع ان نسميها دكاكين الثقافة ، أو هى نوادى رجال التفكير فى أواخر القرن الماضى ، وأوائل القرن الحاضر وهى : دكان الشيخ بكاسر العنابى بجهة القصبة ( ساحة الحكومة الآن ) قرب تربة ( لال ) ودكان الشيخ خميس القبائلى بالعطارين على يمين الداخل لمعهد الحلسونية الذى يوجد بالاسواق العربية ، ودكان الشيخ محمد الستارى فى مقهى العطارين الى اليسار عند مدخل نهج الغرابلية هناك يجتمع سداة الامة من شيوخ مدرسين واعيان الادباء والكتاب . اما الطبقات العليا فكانت تجتمع بنادى آل الكوش بباربانة . وبنادى آل زروق بجبل المنار . وإذا كان أدباء ما بعد الحرب الاولى يجتمعون بنادى قدماء الصادقية فان أدباء اليوم ( وتعنى بهم الاسبوع أدباء ما بعد 1940 ) نظروا للرقى الحاصل فانهم يجتمعون بالطريق العام ليستمدوا وحيهم من المطر المنهمر . ومن الشمس المحرقة ، ويجتمعون بمقاعد الارتال والقطارات اذا سمحت الصدف . وسنعود الى طلائع 1945 . أدباء المطر المنهمر . والشمس المحرقة ، وصدفة اللقاء فى قطار . فى عدد مقبل .

**محمد الصالح الجابرى**



### بقلم : حسن نصر

جذب الكرسي الذي كان الى جوارى ، وجلس الى مائدتي في بقعة لا تتسلل اليها الشمس ، تحت الستارة المتدلية على الطوار قرب باب المقهى .

لم يبد عليه اى اهتمام بى .. كان حائل اللون ، عيناه تغوصان فى لجة معتصة وقد غلبه الاجهاد .. ولم يبادلنى الشحية أو استأذن فى الجلوس .. ومع ان كثيرا من الموائد كانت ترفض فى الظل ساكنة منفردة خالية من الرواد ، الا ان اختياره لم يقع الا على مائدتي بالذات .

كان النهار شديد الحر وكنت قد اخذت مقعدي منذ قليل .. كان العرق ينز من جبينى فاخرجت منديلى امسح العرق ، شمس الضحى تبرزغ على الدنيا وتشع متوهجة ، وتلمع فوق السطوح البيضاء المنخفضة التى تلوح من فوق المرتفع ومن خلال سياج باب المنارة الطويل المنعرج مع الشوارع .. الناس يعبرون جباههم تنضج عرقا ، وهم يجرون خطاهم التى اثقلها التعب ، لا تعابير على وجوههم .. السيارات وعربات النقل تلهث فوق الطريق الذى يتلوى من القيقظ .. انفاس الجالسين تكاد تختنق من الحر ، وقد اثقل اجفانهم النعاس ، وجعلوا يحركون ايديهم على وجوههم يدفعون عنهم الذباب الذى لا يريد الا ان يقع على جفونهم ، فيذبونه ولكنه يتلصق ويعود ملحا ليسقط على الاعين وبين الشفاه .. ويطن فى الأذان ، ويحوم ويحوم فى حركة دائبة وفى تداخل واضطراب متجمعا متفرقا لامعا فى ضوء الشمس ، ويأتى بعضه ليحط على الموائد ، وعلى قطع السكر وبقايا كؤوس القهوة المستقرة امام اصحابها فيمط ارجله ويحكها بعضها ببعض كمن يتلمظ ، ويتنقل بين هذه الاشياء بين جميع الاشياء ، ويذهب ويعود ويعود ويذهب بلا ملال ولا فتور .

لا بد ان امرا ذا اهمية يشغل فكره ويستحوذ عليه ، فلم يعد يرى من حاله شيئا ، ولم يعد ينتبه الى ما يقوم به من اعمال .. اننا كثيرا ما تصيبنا هذه الحالة ، فنفرق في التفكير وننسى كل شيء من حولنا ، ننسى انفسنا واحباءنا وكل ما هو عزيز علينا ونتيه على وجوهنا ضائعين قلقين ، ونعجز عن الكلام ، نعجز حتى عن رد التحية .

وتطلعت الى الرجل ... نظرت في وجهه .

كان عريض الجبين اسمر ، قد مص وجهه الذبول وغلبه الحزن ، واستطاعت ان ارى في عينيه صمتا وانعزالا وان ارى فيهما بريقا كان مشعادات يوم لكنه الآن اخذ ينطق ويخمد ، وان كان ذلك بعد تعب ، كذلك حدثتني عيناه وحدثنى وجهه الضامر وفمه الذي ينطبق بشكل كثيب ، وهو مطرق واجم متأمل .

كان يتكئ بعرفقه على المائدة بينما يده الاخرى قد امتدت تعبت بجيب سترته ، ولم ينظر الى ، وجاء النادل يمسح الموائد التي مضى عليها زمن ، والذباب يتجمع فوقها ويتراكم ويتهافت ، وتقدم من مائدتنا ، فاشار اليه الرجل اشارة ذات معنى دلت على انه من رواد المقهى بينما طلبته ان يجلب لي قهوة .

<http://Archive.org/Sakhrit.com>

عاد النادل بعد ذلك يحمل لنا كؤوس القهوة ، وجعلت اسارق الرجل النظر .. لقد شرب كوب الماء اولا ثم وضع في كأسه قطعتين من السكر ، و اضاف قطعة ثالثة .. ورابعة ، وجعل يحرك القهوة ويحركها وقد اصابه الشرود والنسيان واخيرا كف عن التحريك ، فوضع المعلقة فوق المائدة ، وسحب من جيبه سيجارة .. اشعلها ، وظل يترشف القهوة في اناة ، ويذب من حوله الذباب ويشرد عبر سحائب الدخان . عبر الشمس والسطوح البعيدة البيضاء .

واردت مجاذبته الحديث غير اني رأيتُه وقد اخذ يجمع امره يهم بالانصراف .. انتصب قائما ، وتقدم منه النادل ، فنقده في صمت ، وتمهل قليلا ثم شق طريقه بين صفوف الموائد وسط تراقص الذباب .. خطواته مطمئنة ، غير ملتفت لشيء ولا آبه بشيء .



واستقبلته الشمس ، وفاضت على جبينه ، وشملتة ، فسأر فيها وامتنج بها .. وكنت من مقعدى الاحقه النظر ، وهو يبتعد صامتا متوهجا فى ضوء الشمس .

وكانت سيارة تعبر الشارع مسرعة ، وفجأة اصطكت عجلاتها بالاسفلت محدثة ازيزا هائلا بحيث تنبه جميع من فى المقهى ، وهرع بعض الناس صوب المكان ، لكن السيارة انحرفت قليلا الى اليسار متفاديه الرجل الذى كان يقطع الشارع شاردا من غير ان يتنبه لشيء .

كان النادل يقف الى مائدتى يرفع الكؤوس .. وتطلع الى مكان الحادث ، ثم قال معلقا :

- مسكين .. دائما يمشى ساهما .. هذه المرة الثانية .. يوما ما يصيبه حادث .

وسأله :

- او تعرفه ؟

- كيف لا اعرفه انه من رواد المقهى .. يأتى مرتين فى اليوم مرة زمن الضحى واخرى فى المساء .. لا يطلب الا قهوة ويفضل دائما الجلوس فى هذا المكان .

- ماذا يصنع حين يجد هذا المكان محتلا ؟

- حين ذاك لا يجلس ، ويفضل ان يترشف قهوته على المشرب .

- ولماذا يطلب دائما هذا المكان بالذات ؟

نظر النادل الى الطريق الذى سار فيه الرجل كمن يحاول ان يعرف السر ، وهو يتابع رفع الكؤوس وقال :

- لا ادري ، ربما لانه وجد فى هذا المكان راحة اكثر او لانه يساعده على التفكير احسن من غيره .

- تقول يساعده على التفكير فلماذا لا يكون يساعده على النسيان .  
واجابنى من خلال ابتسامته :

- يمكن ان يكون ما تقوله صحيحا •
- فنظرت اليه ضاحكا في حين ناداه احد الجالسين ، فهرع نحوه •• وشاهدته
- يتنقل بين صفوف الموائد خفيف الحركة رشيقا •• انه لا يشبه الرجل الذي
- كان الى جوارى في شيء •• وعاد ليقول لي مرة اخرى :
- جماعة المقهى كلهم يعرفونه •• يقال انه تغير منذ خمس سنوات •
- ماذا جرى له ؟
- ومال ليقول لي في صوت خفيض وكأنه يذيع سرا :
- لقد هجرته زوجته •
- اذن ...
- من ذلك التاريخ اصبح يعيش وحيدا •
- آله ابناء ؟
- له بنت واحدة في العشرين من عمرها •
- لكن لماذا هجرته زوجته ؟
- لا أحد يعرف السبب كل ما هنالك انها ذات يوم طلبت منه ان يفارقها ،
- وعرضت عليه المال لكنه رفض •
- اتراه يحبها ؟
- انه شديد الولع بها •• رغم ان ابنتها كبرت فهي تزداد فتنة مع مرور
- الزمن •• كل الذين يرونها لا يملكون الا ان يبدوا اعجابهم بها •
- وكيف يعيش الآن ؟
- انه يعيش معها في نفس المنزل على اعتبار انها زوجته •• لكنها لا تأتي
- الا نادرا وقد فرضت عليه ان ينام في غرفة فوق السطح وهي لا تكلمه
- ولا تنظر اليه •
- ومن يقوم بشؤونه ؟
- لا احد •
- وابنته ؟
- انها تذهب وتجيء مع أمها •
- ألا تأتمر بأوامره ؟
- لقد أراد تأديبها ذات يوم لكن أمها هددته بطرده من البيت اذا هو عاد الى
- التدخل في شؤون ابنتها •

• وذهب النادل الشاب مرة اخرى لينشغل مع احد الرواد .  
ثم عاد فسأله :

- كيف استطاع ان يرضى بهذا الوضع طوال هذه الايام ؟

- ذلك هو شأن من يقع فى حب امرأة •

- أترأه دائم الحزن بهذا الشكل ؟

- ليس دائما هكذا لقد تضاعف حزنه هذه الايام بسبب سفرها الذى طال  
أكثر من ذى قبل •

- وهل مى قادرة ايضا على السفر ؟

- انها قادرة على فعل الكثير من الامور •

- وهل هو ؟•••

- انه يعلم كل شىء لكنه لا يستطيع ان يتكلم •

- أمن اجل هذا أترأه حزينا •

وقال النادل فى غيظ : <http://Archivebeta.Sakhri.com>

- لو كنت مكانه لقتلتها •

فاجبته محتدا :

- او يقتل نفسه ؟

- أوه ••• من الصعب على الانسان ان يقتل نفسه •

- لكنه من العسير عليه قتلها ، أو لم تقل انه يحبها شديدا الحب •

- لكونه يحبها يصبح من السهل عليه قتلها •

- تريد ان تقول انه يجد استراحة فى قتلها اليس كذلك •

- نعم هو كذلك •

- أو لم يكن قد دب اليه اليأس •

– لكنه لم يبلغ من الكبر عتياً •• لا يزال منتصب القامة لا يرتعش ولا  
يهذر فى الكلام •

– ماذا ينتظر إذن ؟

– ربما قتلها ذات مساء •

وتساءلت فى نفسى هذه المرة •

– « أترأه يفكر فى ذلك كل هذه الايام •• لكنه يبدو متعباً فهو أعجز من  
ان يقتل ذبابة » •

ضرب النادل الشاب بقبضة يده على المائدة فى تحسّر وغيظ واستدار ليعود  
الى عمله ، بينما نهضت عن مقعدى وسرت فى طريقى مبتعداً عن المقهى •

حسن نصر



# سيرة الطير

بقلم : عز الدين المدني

## ( الفصل الثاني )

### الأحوال الجوية لنهار اليوم :

تكون السماء قليلة السحب مع احتمال نزول أمطار خفيفة عند المساء . تهب  
الرياح معتدلة من الشمال الغربي . درجة الحرارة في استقرار مع إمكانية  
انخفاض ضئيل في المناطق الشمالية الشرقية من الجمهورية . بحر جميل .

ARCHIVE

عليه أن يجتاز شادعا رئيسيا يبلغ طوله قرابة كيلومتر لكي يصل الى مقر  
عمله . لقد ترقب طويلا وسيلة نقل ، في البدء ، كعادته كل صباح . لكن بدون  
جدوى في هذا اليوم : بسبب انقطاع التيار الكهربائي انقطاعا متواليا ، ومن  
جراه تضخم حركة المرور، وبالتالي من شدة الزحام . فسار، إذن في سبيله مسرعا،  
وإن ظلت عيناه تبحثان في أمل عن حافلة نقل، أو تاكسي، أو سيارة زميل، أو أي  
شيء آخر يساعده على اختصار الطريق . لكن بدون فائدة . فعليه في هذه الحال، أن  
يعتمد على نفسه كل الاعتماد، وأن يسير وحيدا ، وبالأخص أن يسرع في خطاه .  
وتسللت يمناه إلى جيب جوازته لتفتش عن علبه دوائه ، فلم يجدها . هل  
تركها في غرفة النوم ؟ أيعود ؟ خلفها هناك لا محالة . . لو رجع إلى البيت ،  
لغات وقت الدخول ! . ما سيقول له رئيس المصلحة عندئذ ؟ مشكلة المشاكل في  
هذا الصباح ! وهذه الزوجة المعتوعة ، الضائعة بين صفارها ، ألا تستطيع أن  
تنبهه إلى ذلك ؟ من المتأكد أنه نسيها في البيت . . فكيف له أن يخفف من حدة  
داه القدة التي تنتاب صدره كلما أجهد نفسه في السير ؟ بيد أن الطريق ما  
زال طويلا . . كلما أجهد نفسه في العمل ؟ بيد أن اليوم يوم اثنين . كانت

لحظة ضيق قاسية كادت تخنق له أنفاسه • وأدخل يمينه في جيب جمازته الداخلي ، بعد أن تفقد الجيوب الأخرى في لهفة ، فاصطدمت بالعلبة • وجدها هذه العلبة اللعينة ! وجدها ! فتحسسها مليا بأنامله • وما هي لحظة حتى انبسطت تجاعيد جبينه ، واطمان •

\* \* \*

### حظك اليوم :

الجوزاء ( من 22 ماي الى 21 جوان )  
خاص بالرجال

تتوتر اتصالاتك بغيرك • إلا أنك تستطيع أن تتجاوز الصعاب بعملك • لا ترهق نفسك • من الأفضل أن تستشير طبيبك إذا كنت من المولودين حوالى 20 جوان • لا تضع ديونا جديدة على كاهلك ، واسمع إلى حل مشاكلك المادية الرائنة •



وفتح العلبة على عجل ، وأخذ منها قرصا واحدا فسقه بدون أن ينظر إليه • إنه لم ينس ما قال له الطبيب • أو لم يأمره ألا يسرق في تناول هذه الأقراص حين جاءه منقبض الصدر ، متأزم الأنفاس ، جعد الملامح ؟ أو لم ينصحه بأن يأخذ قرصا واحدا في الصباح ، وثانيا عند الغداء ، وثالثا قبيل النوم ؟ لقد نفدت العلبة الأولى ، وعقبتها الثانية ، وتلتها الثالثة ••• ولم يمر شهر على تناوله هذا الدواء المسكن حتى بدأت بوادر الفرج تشع في وجهه ، وعادت أنفاسه هادئة طبيعية ، وحتى صار هذا الدواء مخدرا بالنسبة إليه ، لا يستطيع أن يتخلى عنه ، وإلا رجعت إليه الغدة بأقسى ، وأشد ، وأضنى مما عذبتة من قبل •

لقد قطع منذ حين حوالى مائة متر من « شارع الحرية » الطويل • فكم بقى له منه الآن ؟ وألقى ببصره إلى منتهى الشارع فآلفى صفين من الأشجار متقابلين يفصل بينهما ممر السيارات والحافلات والعربات التى لم تتحرك من مكانها منذ أن انطلق ، هو ، من بداية سبيله • أين يقع آخر الشارع ؟ ورأى بفتة ، أن الطريق لن تنتهى أمامه • فتذوق طعم اليأس • وتذكر ابنته لما شاهد التلامذة واقفين أمام محطات النقل العمومي • ولم تذكرها الآن ؟ وما الداعي إلى ذلك ؟

وسار بخطى عجل غير آبه بما يفكر ، متغافلا عما يتذكر • لكن ، ما زال طعم الياس باقيا في فمه • فامتعض ، وأحس ، حينذاك ، بجفاف في حلقه لم يألوه قط • فدخل لحينه ، أحد المقاهي ، وشرب كأس ماء معدني بعد أن بلغ قرصا نانبا ، عله يروى عطشه • لقد اعتقد منذ بداية هذا الشارع المستطيل حين لم يعثر على أية حافلة نقل ، حين لم يظفر بأية تاكسي ، حين لم ير أية سيارة صديق أو زميل تمر ، اعتقد أنه سيتغلب على المسافة بالسير الحثيث ، أنه سيدرك مقر عمله لا محالة ، مهما كلفه الأمر ••• ! لكن ، أنى له ذلك ؟ لقد فات الثلاثين من عمره بعامين • ومن غريب الاتفاق أنه سيبلغ غدا ، نعم ، غدا الثالثة والثلاثين • إنه شاب ! فاستذكر زوجته عيد ميلاده الثالث والثلاثين ؟ وابنته ؟ إنها وضعت علامة حمراء في الروزنامة الجدارية • وما ستكون الهدية ؟ قميصا جديدا ؟ لا • إن له أقمصا كثيرة •• قلما مذهبا ؟ وما يفعل بالأقلام ؟ قلادة عنق من حرير ؟ ترى ماذا ••؟ سينتظر ذلك بفارغ الصبر •! سيقربه بفرح !

### من عناوين الصحف الصادرة صباح اليوم :

- رئيس الدولة يهب عشرة آلاف دينار لمكتوبي الفيضانات ، ويامر بإعادة بناء المدينة •
- كاتب الدولة للرئاسة والدفاع الوطني يوزع مفاتيح جديدة على أصحاب المساكن الشعبية •
- كاتب الدولة للتخطيط والاقتصاد الوطني ي دشّن ثلاث تعاصديات تجارية هامة بالقيروان ، والقصرين ، وسوسة •
- كاتب الدولة للشؤون الثقافية يقول في ندوة اللجان الثقافية الشهرية : « الاشتراكية الدستورية غايتها الانسان » •
- إعادة تنظيم المدارس الاعدادية • تدشين أربع انجازات زراعية هامة في الساحل ، والجنوب • والى قفصة يعقد اجتماعات شعبية كبرى في مناجم الرديف والملتوى • إحداث خط هاتفى بحرى بين أنقرة والرباط عبر تونس • العثور على مدخرات جديدة هامة الغاز والنفط في أقصى الجنوب الخ •••

\* \* \*

لما اجتاز مائتي متر رفع يده إلى جبينه • ماذا أصابه ؟ فإذا بالعرق قد تكاثرت قطيراته الصاردة على صدغيه ، وكادت تسيل على عذاريه ، وبين منعطفات أنفه وعينييه ، فمسحه بمنديله الأبيض في شيء من الحياء ! هذه بداية تعب ! وشعر في هذه الثانية ، بأنه صار مسنا • هذا شعور غريب ! ! أهو مسن ؟ لا ، أبدا ، إنه في عز الشباب ! لقد كان يحس بفوران الدم في شرايينه ، وبقوة أعضاء جسمه ، وبصفاء ذهنه ! • كان يحس بأنه صار مسنا !

نعم ! بالزمان الذي تكتف في رمشة عين ، في أعماقه ، بالزمان الذي أخذ يقوس له ظهره بععب المشاكل اليومية التي لا تنتهى ، والتي لا تقضى إلى حل ! • • • وتاوه • وفي الواقع ، ألم يعد هو مسنا في هيئة شاب ! فتناول قرصا ثالثا بغير إرادة ، كأنه أحب أن يمحو هذا الاحساس الغريب الذي عرفه لأول مرة في تلك اللحظات الماضية ، أو ليفر منه على الأقل ، أو ليتغافل عنه في النهاية •

وفكر في عمله في وكالة الاشهار ، وفي الأمور الجدية التي يمكن له أن يرتقى بها في سلم وظيفته • وتصور زملاءه واحدا واحدا ، ولا سيما ذاك الكهل بقامته القصيرة ، وعينييه الذابلتين ، وشعره المصبوغ ، وشاربہ الأشيب ، وكسوته الوسخة الوحيدة الشخماء • هذا الكهل الذي يتجسس عليه ، ويتتبع حركاته في كل لحظة ، ويزاحمه عند رئيس المصلحة ، وينافسه في أمور تافهة • • • ذاك الرجل الوصولي المنافق الذي ما انفك يرفع كلامه إلى رئيسه وإلى المدير وإلى فلان وفلان ، وإلى كناس الادارة وشواشها ، وحتى إلى رئيس الشرطة لو أحب ذلك أو لو قدر عليه • • • هذا الذي يدعو نفسه « شخصية مرموقة في مجال الاشهار والتجارة ! » وضاعت أنفاس صدره ، فأخذ قرصا ثالثا بحركة آلية ، وكسره بين أضراسه • • • والتفت إلى الشارع ، كأنه يفتش عن عزاء أو سلوى • • • فلم يلف أية حافلة تمر ، إلا هؤلاء الناس الذين ظلوا بأبنائهم واقفين أمام محطات النقل العمومي ، إلا هؤلاء المارة الذين يمشون بارتخاء كبير ، يتحدثون بصياح ، يضطرون في صخب ، ونظر الى ساعته •

\* \* \*

من موجز النشرة الاخبارية التي اذاعتها المحطة القومية هذا الصباح :



- رئيس مجلس السوفيات الأعلى يصرح في ندوة صحافية عقدها إثر زيارته لباريس :

« إن التعايش السلمى هو اول شرط أساسى لاقتراد السلام فى العالم ،  
وضرورة حتمية لدعم التعاون المثمر بين الأمم » •

- يوثانت يقول:

« ميزانية الأمم المتحدة عاجزة عن دفع مصاريف الجيوش الاممية المراقبة  
بقبرص » •

- الشيخ الامريكى الديمقراطى مالك غلاسكوفى يوجه نداء إلى واشنطن كى  
تعد العدة للهجوم على الصين الشيوعية قبل أن تفجر بيكين قنبلتها  
الذرية على الولايات المتحدة •

- الرئيس هوشى منه يؤكد :

« افا سنصمد حتى الموت مهما دمرت الطائرات الامريكية قمرانا  
ومؤسساتنا » •

- رماة البحرية الامريكان يكبدون رجال « الفياتكونغ » خسائر باهظة فى  
الأرواح والعناد على بعد 70 كلم من سايفون •

- المجاعة تهدد سكان دلهى الجديدة ، وتقتل مائة ألف شخص فى هندراباد •  
- المدير العام للمنظمة الاممية للتغذية والزراعة والمدير العام لليونسكو  
والمدير العام للمنظمة العالمية للصحة يوجهون نداءات ملحة إلى الدول  
الكبرى كى تمهد يد الاعانة المادية إلى الهند خاصة وإلى العالم الثالث عامة •

- وضع متنازم فى رواتينالا ، جنדרمة كاسلى تنفصل عن حكومة الكنفو  
المركزية ، قلاقل فى سوريا ، الخ ... الخ ...

\* \* \*

ونظر إلى ساعته : إنها الساعة الثامنة إلا خمس دقائق • ساعة الدخول لا  
ترحم ! إنه لم يصل إلى منتصف الطريق • يجب عليه أن يجد تاكسى ! يجب  
عليه أن يركب تاكسى : لثفت مرارا عديدة إلى الشارع فى يأس وحزن : حركة  
المرور معطلة • هل أضرب أصحاب التاكسيات عن العمل بدون سابق إعلام ؟

هذه فوضى ! هذا عبث بالمصلحة العامة ! ... سيدى ، لم تأخرت اليوم ؟ هل الزوجة مريضة ؟ وصحة الأطفال ؟ خير ، إن شاء الله ! واليوم ، ما هو سبب تأخرك ؟ بالطبع ، نفس التعلات دائما ! ... وتصور أنه سمع رئيس المصلحة يؤنبه ، وينذره ، ويتندر عليه ، وزملاءه يضحكون ويقهقهون . وهو فى موقف حرج وارتباك كبير . أف ! ... ورمى بقرص رابع فى حلقه . وأسرع فى خطاه . ما يهمه من كل هذا ؟ وهل يحفل به ؟ يكفيه أنه يتفانى فى عمله ! فهذه المحفظة ثقيلة بالملفات التى يدرسها ورقة ورقة صباحا وعشية وليلا ، فى المكتب والبيت ، ويفكر فيها مليا ، ويجهد فى إتقان عمله إلى حد الارهاق والوسوسة ، ويخلص له إخلاصا أعمى ، لا ينتظر من ورائه شكرا إلا رضا الضمير وروح النفس . إذن ، فعلم يهتم بقدر المنافسين وافتراء الحاسدين ؟ إنه يعرف نفسه معرفة اليقين : حرية تصرفه ، استقلالية تفكيره ، شدة عناده . وهذا ما دفع الناس إلى التنكر له . نعم ! إنه سائر فى طريقه لا يأبه بأى خطر ! هذا هو المهم . وزاد فى سرعة خطاه . واسترق النظر إلى ساعته : لم تبق إلا أربع دقائق . وتناول قرصا خامسا حين اجتاز مفترق طرق . وعرف ، فى هذا المكان ، أنه قطع نصف المسافة : أى خمسمائة متر !

ARCHIVE

جمع من الناس ملتئم ، لباسه أسود ، منعزل عن بقية المارة يتحرك أفرادا تحركا مضبوطة منسجما واحدا . وفى هذا الجمع المختلف الوجوه ، الكثير الأيدي ، العديد الأرجل شيخ له حية بيضاء محترمة ، وامرأة بدون عمر ، وطفل حامل فخا ، وفتاة يبدو أنها فى العقد الثانى من العمر وضعت على ذراعها باقة زهور ، ورجل فى حوالى الأربعين يقرع طبلا ضخما ويصيح :

« ايها المواطنون ! لقد جاء سرك عمار ! الليلة يقدم أدور سهراته ! فى الملعب البلدى هلموا جميعا ايها المواطنون ! جميعا هذه الليلة إلى الملعب البلدى ! أسعار الدخول شعبية » !

ثم يصمت ويمسك عن قرع الطبل ، ويستأنف كلب قذر نباحه الأبح خلف الجمع . إلا أن الناس لم يلتفتوا إلى هؤلاء الأشخاص ؛ لأنهم ملوا منهم ومجوههم !

\*\*\*

ولما قطع مفترق الطرق ، ووضع رجله على الرصيف المقابل ، تذكر ، على حين غفلة ، ابنه المريض . إنه لم يبلغ العامين بعد . لقد حمله من طبيب إلى طبيب ،

ومن مصحة إلى مصحة • ودفع بجلد كبير مصاريف العلاج والدواء • وأدخله المستشفى عديد المرات • لكن ، لم ينفع هذا كله ، ولم يشف الولد من مرضه المزمن • منذ أن ولد ، وهو يعاني هذا الولد المسكين ! فما عسى أن يفعل أبوه ؟ ألم ينفق عليه المال الكثير فاقترض ، ورهن ، وتحمل الديون ، وتكبد الغواض في البنوك ، وعند المرابين اليهود الذين امتصوا دمه ؟ وأدى به عسر مرتبه إلى قمار الخيل في نهاية الأمر ! • • • هذه مشكلة ما زالت معقدة ، لم يعرف كيف يسويها ! وتجرع غصة ، شفعتها زفرة نجمت من خبايا صدره ، التقم على اثرها قرصا سادسا • إلا أنه لم يلبث زمنا حتى أحس بالعرق يتدفق من مسام كامل جسمه • الفصل فصل الحريف ، ولا الصيف • وأشعة الشمس في هذا الصباح شفاية بلورية ، ليست بحارة • وهذه السماء جميلة فسيحة زرقاء ، تسبح فيها سحائب صغيرة بيضاء ، كتلك المراكب الناصعة الشراع التي عبت بها يوم كان صبيا في شاطئ المرسى • أهذه احلام ؟ أم ومضات ذكرى ؟ أم لمعات خيال ؟ أم تصورات ؟ أم ماذا ؟ لم يدرك ما هي • فهو كثيرا ما يخلط بين الذكرى والاحلام والواقع • وابتنسم لما تذكر أباه حين كان يسبح في أول الشاطئ خائفا من برودة الماء ، متعثرا في الضرب ، وعلى خاصرته فوطه حرير زاهية الألوان ، وعكازه تبحث بين الصخور عن البيوش والقنيط ، وشقيقه بمظلته الكبيرة يتربع تحت الشمس الحمراء خروج أبيه من البحر كي يسلم إليه البشكير الذي نقل على ذراعيه الصغيرتين • • • لقد ذهبت ناس وجاءت ناس • • • ورحم الله والده رحمة واسعة • • • ولما وافى ستمائة متر ، فكر في حبه الذي بار • ولم تذكره الآن ؟ ما أصابه في هذا الصباح ؟ ما أصاب ذاكرته ؟ لقد تذكر كامل حياته في حوالي ربع ساعة • • • انه يعيش الآن لأبنائه الثلاثة • سيرعاهم • سيدخلهم المدرسة ، ثم المعهد ، ثم الجامعة • ستكون ابنته استاذة في ، في أى شيء ؟ في التاريخ مثلا ! أو في علم الاجتماع ؟ أو الافضل ، في علم النفس ؟ ولم لا ؟ إنما يجب أن تكون أستاذة ! نعم ، أستاذة تحمل شهادة الدكتوراه • • • وتشر بحوثها القيمة في مجلات اليونسكو • • • على كل • ماذا يهم اذا هو لم يصل إلى هذه الدرجة من الدراسة ؟ ماذا يهم ؟ ليزود ، إذن ، ابنته بهذا الطموح • • • وسيصبح ابنه ، هذا المريض ، طبييا أخصائيا في ، هذا أمر طبيعي ، في مرض القلب ، لا غير ! ولا في الامعاء والمعدة ! ! • لا • لا ! يريد أن يكون أخصائيا في أمراض القلب • سينفق عليه ماله كله • ولن يشتري في السنة القادمة سيارة ، ولن يتحول من البيت الضيق الذي يسكنه حاليا ، ولن يشتري التلفاز

الذى طالما طالبت ابنته باحضاره بعد أن شاهدت خرافات بنت السلطان ، وأمك عيشة القصيرة ، والسندباد البحرى ، بالصور المتحركة فى بيت خالها . إنه سيقصد فى كل شىء حتى فى الأكل واللباس . أما ابنه الثالث ، فما زال رضيعا . فله حرية الاختيار . فليتعلم ما يشاء ، وليحصد الشهادات كما يحب ، وليكن خبيرا فى الذرة ، أو معماريا ، أو مخططا إقتصاديا . . . ليتعلم ما يريد ! وامتنص قرصا سابعا ، وقد تعدى سبعمائة متر . على كل ، فهو يعيش لأبنائه . ذاك مطعمه . وذلك هو مثله الأعلى يبذل جهوده كل يوم فى سبيله . لولاهم ، لكانت حياته بدون فائدة . لولا هذا الأمل أو هذا التوق ، لما كان له سبب بالحياة . أما زوجته ! زوجته ! هو لا يريد أن يفكر فيها بتاتا . ألم يصبح غريبا ؟ لا سلوى له إلا اللعب مع أطفاله فى أوقات الفراغ القليلة . أو لم يسمع زوجته تصرخ فى وجهه كل يوم عند الظهر : « فتش لنفسك عن خادم لطهى طعامك وغسل ثيابك . أنا لست بخادم ! عليك بالزيادة فى نفقة البيت . ألا تفهم أن غلاء المعيشة أهلك الدنيا ! فلا يجيبها . ويجلس إلى المائدة . وما تنفك هى تثرثر ، وتصيح ، وتدخل غرفة ، وتخرج من غرفة . وما يفتأ المذايع يدوى ، وينبح ، ويشوش حتى كسره ذات يوم ليستريح منه . وما يبرح الأطفال يصرخون . ويتلذذون . ويتذمرون . ويتضاربون . ثم تأتى زوجته بعد ساعة كاملة من الانتظار المربى ، وقد فرصة الجوع ، ولسعه ، وأحرقه ! فتلطم على المائدة بصحن فيه لحمه كلها عظام تعوم فى بحيرة من المرق المالح الحاد ، ثم بكسرة خبز ومنديل وشوكة . فينحنى هو على هذا الطعام ، ويحرك اللحمه بسببائه ، ويبقى على هذه الحال : حزينا ، مغظيا ، نائرا فى داخله ، لا يجرا على الكلام . وقليل ما يغضب فينفجر ، ويكسر الماعون ، ويحطم المائدة ، ويخرج من البيت لا يلوى على شىء ، وزوجته تجرى وراءه وتتوعد : « عليك بالمطعم ! عليك بالمطعم ! يا سيدى ! يا مدلل ! والجيران فى الشقق الأخرى يسترقون النظر إليه من خلال فرجات أبوابهم . وكثيرا ما يكضم غيظه فيقبل على هذا الطعام ودونه : مرغما ، متجلدا بدون أن يدعو زوجته إليه ، ويظل يأكل على مضض ويرمقها بين الفينة والفينة بازدراء . وبالإضافة إلى ذلك ، كان لا ينام بجوارها ، بل ينام فى غرفة ، وهى تنام فى غرفة مع أبنائه . ذلك أنه لم يعد يستطيع أن يقوم بواجبه الزوجى أحسن القيام من جراء داء الفدة . ليته لم يتزوج ! ليته لم يعرف هذه الفتاة الحمقاء الشمطاء التى تستظهر له ، فى كل خصومة ، بورقة تشهد بأنها متحصلة على البكالوريا ، على الجزء الثانى من

الباكالوريا نعم ، يا سيدى الجزء الثانى ، أفهمت ؟ وتقول له « كان من حقى أنى تزوجت من سفير أو من وال أو من وزير أو حتى من محام ! لقد ضيعت شبابى معك ... » فيندهش ويقول : « ما هذه الشراسة ؟ أين هى التربية ؟ وحسن الأخلاق ؟ أين الوداعة التى عرفها عليها قبل الزواج ؟ لم تزوج ؟ لم ؟ ... »

\* \* \*

### من زاوية : حوادث فى المجتمع انتحار

نقل أمس الى « مستشفى الرابطة » المسمى بلقاسم بن رجب بن محمد ، البالغ من العمر 65 عاما من سكان « وكالة العهد الجديد » بباب المنارة فى حالة خطيرة جدا ، إذ أنه حسبما يبدو ، شرب كمية كبيرة من المواد المييلة للحشرات أو من الجافل . ومن المرجح أنه لفظ أنفاسه الأخيرة فور وصوله إلى القسم الاستعجالى . وقد فتحت الشرطة تحقيقا فى شأنه لتتطلع على هذه الفعلة اليائسة التى ما زالت أسبابها مجهولة إلى حد الآن .

\* \* \*

وفى الواقع ، لقد جب هذه المرأة حبا صادقا منذ سبع سنين . فشيدها ، آنذاك ، قصورا من الآمال ، والأحلام ، والخيال ، ما لبثت إثر زواجهما بعام أو ببعض عام أن انهارت وخربت ، وتبخرت . وصار ، هو ، إلى حياة أقرب للعزوبة منها إلى الزواج . إذ أنه كان لا يعلم أنه متزوج إلا حين يسجل اسمه وأسماء أبنائه فى الأوراق الادارية الرسمية وإلا حين يقوم الحصام ، ويحتد الغيظ ، ويتقاذف الوعيد بالطلاق والفراق . فانطوى على نفسه انطواء كليا ، لا يخرج من قشوره إلا فى رأس كل شهر ، ليعبد نفقات البيت والعلاج . أين التفاهم ؟ وأين الانسجام ؟ وأين الحوار ؟ لقد حبها بملء فوائده ! لا يوجد حوار إلا من طرف واحد وحيد ، بل لا يوجد حوار إلا مثل هذا الشئاع الذى تصعبه السيارات ، ولا تنزله لأن النزول فيه محظور ! لقد حبها ! لقد بارحها ! اما اليوم ! ! وتحسر ! ! وما فائدة الطلاق ؟ وما جدوى الفضيحة ؟ والمحاكم ، والشهود ، والاخوان ، والناس ، والمحامون ، والمصاريف الباهظة الضائعة فى لا شئ ، ووالد الزوجة المزعومة الذى يهدده دائما بتشتيت الشمل ، وأمه التى طالما نصحته ألا يتزوج من هذه المرأة التى تدعى أنها « مثقفة » .. ولا سيما

أبنائه الذين سيضيعون .. وتخيل أن الأفق ادلهم أمام عينيه ، وتصور ضياع أبنائه ... فاكفهر وجهه ، وتقلصت ملامحه ، والتقم قرصا ثامنا في تحسر به في ندم حامض ...

\* \* \*

رجل بين عمرين في حديقة عمومية يلقي خطبة في اطفال ، ونساء ، ورجال . تقول عنه عائلته أنه مختل العقل ، وينعته اصدقائه بأنه حكيم ، ويصفه بعض الناس بأنه دجال . وهو في كل يوم يرتدى لباسا ، ويتحدث بحديث ، ويتكلم بلسان . وقال للناس الذين وقفوا حوله في هذا الصباح :

« قال صاحب العقد الفريد :

ان ارسطاطا ليس كتب إلى الاسكندر : املك الرعية بالاحسان إليها تظفر بالمحبة منها ، فان طلبك ذلك باحسانك ادوم بقاء منه باغتسافك ، واعلم أنك تملك الأبدان ، فاجمع لها القلوب بالمحبة ، واعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول ، قدرت على أن تفعل . فاجتهد ألا تقول تسلم من أن تفعل » .

وسكت الرجل . وران السكون على الواقفين . وخلق بعضهم في بعض مليا ، وتهامسوا ففطن الخطيب الى غمزاتهم وقال : « من لم يفهم يسأل من فهم ! » .

\* \* \*

لما أتى على ثمانمائة متر ، وقد تعب من سرعة السير ، وسأل عرقه الصرد على وجهه ، تهمل قليلا في مشيته ، ورأى أن الانسان سجين منزلته مهما آمل ، وأداد ، وفعل . وأنه لن يغير منزلته إلا بسلطان الحرية . وطلق يفسر لنفسه مفهوم الحرية . إنه لا يعرف أغلق ، ولا أشكل ، ولا أغمض من هذا اللفظ المتقلب الذي شحن بمعان متراكمة ، ومفاهيم متناقضة . ونجمت من عقله فكرة ، فصيح رأيه وقال : « الانسان في البلاد المتخلفة سجين وضعه مهما طمع ، وبني ، ونمى . وإنه لن يغير وضعه إلا بالفعل الارادى الواعى . فهل يستطيع المرء ، إذن ، أن يقرن ، في حدود هذا المضمون ، معنى الفعل بمفهوم الحرية إذ الغيت منه معاني الفوضوية ، والفردية ، والمطلق ، واضيفت إليه معاني الإيجاب ، والوعى ، والتضحية ، وأن يقارن بينهما ، ومن ثم ينسج من

خيوطهما مفاهيم تنير سبيل آن الانسان ، ومستقبله خاصة ، ومصيره عامة ؟  
 فحين يقال : إن هذا الإنسان يعمل • فهل يفهم من هذا المعنى أنه فعال ؟  
 إنه حر في فعله ؟ إن فعله حر ؟ أين حدود ذلك ؟ وأين النوايا المخلصة ،  
 والعزائم الصادقة التي تحوى هذه المعاني كما يحوى الظرف الرسالة ؟ إن  
 الحرية هي نسخ الفعل ، وإن الفعل هو العمود الفقري للحرية • ولا حرية بدون  
 فعل ، ولا فعل بدون حرية • وبينهما جدلية سرمدية لو امتحت لبطل أحدهما  
 وهلك الآخر • وحمله تفكيره هذا إلى آفاق قاصية ••• صحيح ، أنه ولع  
 بالفلسفة أيام دراسته ، وأنه حصل على عدد سبعة عشر على عشرين في مادة  
 الفلسفة • وكان رئيس المعهد قد علق مقالته على سبورة الساحة الكبرى ، ثم  
 أهدى إليه في حفل آخر السنة الدراسية مجموعة كتب فلسفية تبحث في  
 الحرية • أطال النظر في أفكاره مليا • وطفئت في ذهنه المجادلات التي كانت  
 تدور بينه وبين ثلة من زملائه كانوا يجتمعون طوال الساعات إثر دخوله  
 الجامعة ••• وبرزت له أفكار كثيرة في الاشتراكية ، والوجودية ، والاسلام •  
 لكن ، ظلت قوله هملت « أكون أو لا أكون » عالقة بذهنه • فتساءل كيف  
 للانسان أن يكون في البلاد المتخلفة التي تنزع إلى التقدم الاقتصادي والصناعي ،  
 وتطمح إلى الازدهار الحضاري ، وتتوق إلى العدالة الاجتماعية ، كيف للانسان  
 أن يكون في هذه البلاد ؟ وأدرك أن مفهوم الحرية في كل عصر ، وفي كل جيل  
 يتضمن ، غالبا ، معاني الأمل ، والوجود ، والوعي ، كيف للانسان أن يكون ؟  
 وتردد هذا السؤال على مسمعه حتى صار كالنغمة ! أبالاصالة يكون ؟ بكبح  
 الأسعار ؟ بتوصيات الأمم المتحدة ؟ بالثورة ؟ بمحو الأمية ؟ باستئصال الألم ؟  
 بالقضاء على الجوع ؟ بالقانون ؟ بكتابة بيانات تندد بالعدوان في فياتنام ؟  
 بتحطيم البيروقراطية ؟ باجتثاث الوصولية ، والعاهات الذهنية ، والتواكل ،  
 والقناعة ؟ هذه قضايا كثيرة • ونبس : « كل إنسان هو سؤال يسير ! »  
 واندعش كيف وصل إلى طرح هذه القضايا بسرعة فائقة • ومهما يكن من أمر ،  
 فعليه أن يتحمل أعباءها كالأخرين ، وعليه أن يكون ذا وعي تاريخي عميق ، وأن  
 يتخذ مواقف مسؤولة حيال عصره ودينه •

\*\*\*

### في الحكمة :

5 أعوام أشغالا شاقة و 5 أعوام ابعادا لموظف اختلس اموال الدولة -

هذه قضية أخرى من قضايا اختلاس أموال الدولة عاجتها المحكمة الجنائية في جلسة يوم أمس ، ومورط عيها قابض مركز البريد بـ ( ٠٠٠ ) بتهمة الاستيلاء على قرابة 5000 دينار من أموال الدولة ، وتدليس وثائق إدارية .

### الوقائع :

كان المتهم سمي قابض بـ ( ٠٠٠ ) خلال سنة 1956 فباشر عمله حسبما جاء في البحث بكل اخلاص ، وتفان ، لمدة طويلة . ثم انحرف فجأة . وأخذ يمد يديه الى أموال الدولة المؤمن عليها بحكم وظيفته ، وذلك بين مرار متعددة .

وقد عمد لتفطية اختلاساته إلى تسجيل الأموال التي اختلسها . وقدرها 4726 دينارا بدفاتر حساب المركز لكنه تعمد من جهة أخرى عدم ذكرها بالقوائم التي كان وجهها للإدارة .

### اكتشاف الاختلاس :

وارسلت إدارة البريد المركزية ذات يوم متفقدًا لاجراء مراقبة على سير حساب مركز ( ٠٠٠ ) فلاحظ أن هناك نقصا . ولما اطلعت ادارة البريد على تقرير المتفقد اعلمت الشرطة التي ألقت القبض بعد ذلك على المتهم . وامامها اعترف اعترافا مفصلا بتعمده التدليس . ولدى التحقيق تراجع المتهم في بعض اعترافاته ، وافر بعضها الآخر .

### المحاكمة :

ومثل المتهم ، أول الأمر ، أمام المحكمة الجنائية فطلب محاميه الاستاذ ( ٠٠٠ ) عرضه على الفحص الطبي ملاحظا أنه مختل المدارك العقلية . وقد عرض بالفعل على الحكيم ( ٠٠٠ ) فذكر ان مداركه سليمة ، وأنه يتحمل كامل مسؤولياته . واعاد المحامي الطلب راجيا إحالته من جديد على الفحص الطبي . فقررت المحكمة عرضه على الحكيمين ( ٠٠٠ و ٠٠٠ ) وقد ذكر هذان الحكيمان أن المتهم مختل المدارك ، وأنه لا يتحمل مسؤولياته كاملة بل في نطاق محدود . وفي جلسة أمس ، احضر المتهم . واثناء استنطاقه ، قال إنه لا يتذكر شيئا عن القضية ، وأن ذاكراته لا تمكنه من تذكر أي شيء عن الموضوع .

وحضر السيد ( ٠٠٠ ) ممثل المكلف العام بتزاعات الدولة فطلب الحكم بثبوت إدانة المتهم مع ارجاع المبلغ المختلس وتحمله جميع المصاريف ، واعطيت



الكلمة للسيد ( . . . ) . ممثل الادعاء العمومي ، فطلب مبدئيا عرض المتهم على الأطباء الثلاثة نظرا لتضارب التقريرين الطبيين ، وطالب بمحاكمته من أجل الاختلاس والتدليس . وهما جريمتان يعاقب مرتكبهما بعشرين سنة أشغالا شاقة .

ورافع الأستاذ ( . . . ) نائب المتهم فلاحظ أنه لا يمانع في عرض منوبه على الفحص الطبي مرة ثالثة . وقال : إن الفحص الثاني الذي أجرى على منوبه هو أقرب للواقع . لأن الفحص الأول لم يكن عميقا وجديا نظرا لعدم البحث في حياة المتهم وعدم فحصه بالآلات . ولاحظ الأستاذ ( . . . ) في خصوص تهمة التدليس ، أن المحاكم الفرنسية وشراح القانون أمثال قارون وقرسون يقولون « إذا كان التدليس قابلا للمراجعة ، وأنه يتفطن إليه بمجرد المراجعة ، فلا يعتبر تدليسا ولو قصد منه الإضرار » وبعد أن تحدث المحامي عن حالة موكله الشخصية ، طلب إسعافه بأقصى ظروف التخفيف نظرا للاختلال العقلي المصاب به .

### الحكم :

وبعد المفاوضة ، قضت المحكمة بعقاب المتهم بخمسة أعوام أشغالا شاقة من أجل التدليس وخمسة أعوام أشغالا شاقة من أجل الاختلاس مع ضم العقوبتين كما قضت بإبعاده عن ولاية ( . . . ) مدة خمسة أعوام ، والزامه بارجاع المال المختلس إلى إدارة البريد وحمل المصاريف عليه وتعيين مدة الجبر بالسجن إلى أقصاهما .

( عن جريدة يومية بالتصرف )

\* \* \*

الثامنة وخمس دقائق . الثامنة مرت ! والمسألة ليست طرح مثل هذه القضايا ! لماذا يفكر في هذه الأمور التي لا تهمه ؟ ! إنه شخص كأي شخص آخر : يأكل ويشرب وينام . المسألة الآن ليست هذه القضايا ! إنما المسألة هي العيش ، عيش يومه ، عيش لحظته ، هي الحبز ، هي إ طعام أبنائه . لقد مرت الثامنة . يجب عليه أن يعدو كالجنون . هيا اسرع ! وتخيل ، فجأة ، رئيس المصلحة يتربق قدمه بفارغ الصبر ، وهو يضطرب جيئة وذهابا أمام مكتبه

المفتوح ، منفعلا ، لا يدري ما يفعل ، ولا تدري الكتابة ما تفعل هي أيضا . هل  
كلمك بالهاتف ؟ لا ! لم تأخر ، إذن ؟ لا أدري . لقد كلفه أمس رئيسه بأن ينظر  
في ملف العقود الاشهارية ، وأن يحرق عقودا جديدة كي تبرم هذا الصباح مع  
بعض أصحاب القاعات السينمائية إذ أنه قد تخصص في هذه المسائل  
القانونية . لم لم يأت ؟ الثامنة مرت وست دقائق ! هذه الفوضى ! إنه يهزأ  
بعمله ! سأكتب في شأنه تقريرا أسود ! الحرفاء في قاعة الانتظار يتململون !  
هل كلمك بالهاتف أم أرسل أحدا ليعلم عن غيابه ؟ لا ! لماذا لم يأت ؟ لم يكلم  
أحدا في هذا الصباح ! أنت لا تعلمين أى شىء ! إنى لم أفهم بعد لماذا انتدبوك  
كاتبة في هذه المصلحة بالذات ؟ لماذا ؟ لكى لا أعرف شيئا عنه ! أنت لا تعرفين  
شيئا أبدا . . . إنه يريد أن يلوث سمعة الوكالة بتكاسله ! إنه يريد أن يقضى  
علينا ! يا سائق ! اذهب الى منزله ، واثنى بالخبر ! . . . هيا اسرع انظر ما يفعل  
هذا المسكين ! سأكتب في شأنه تقريرا . لن يتقدم في العام القادم ، سيبقى  
تمسا على حاله ! . . . هيا اسرع ! اسرع ! وأخذ يهرول في الشارع والمارة  
من حوله يلتفتون : فبعضهم ينهره ، وبعضهم يشتمه ، وهذا يسبه ، والآخر  
ينعته بالبغل الذى قطع عقاله . ودفع عجوزا فسقطت على الأرض فطفقت  
تصيح ، وتلعن ، وتولول ، وتتعهد . . . وهو ، فى حال مرتبكة ، لا يعرف أيفر  
أم يساعدها على القيام . . . وتكاثر الناس من حوله ، وصرخوا فى وجهه ،  
واحتجوا ، وهاجوا ، ومد أحدهم يده إليه ، ليلكمه ، ليخنقه ، ليقبض عليه ،  
ليسلمه فى أيدى الشرطة . . . وتكلم ، هو ، واعتذر ، وشرح . . . من يسمع  
له ؟ وتفرق الناس ، بعد ذلك ، من حوله بعد أن قامت العجوز . فاستأنف سيره  
ببطء . وجس عينه اليسرى فايقن أنها زرقاء الجفن ، دامية الحدقة . وعاد الى  
سيره الحثيث . . . وأدخل يمناه فى جيب جمازته ، فلم يعثر على علبة دوائه .  
إنها ضاعت أثناء ذاك الشجار . كيف له أن يقضى صباحه هذا بدون  
دواء ؟ ! . . . والفدة ؟ واحس بصدره يضيق . وفكر بأمل فى أنه سيرسل  
الشاوش الى الصيدلية ليشتري له علبة جديدة فور وصوله الى المكتب . وزاد  
فى سرعة خطاه حتى كاد يقترب من نهاية الشارع . ولما أدرك أنه لم تبق له إلا  
بضعة أمتار من مقر عمله فكر فى أنه لا توجد أية ملامة بين الانسان والواقع ،  
كالقاطرة التى لا تلاثم عجلائها سكة حديد . واندحش لركاكة هذا التشبيه ،  
وسماجته ! انظر ! إنه ما زال يفكر ! إنه مريض بالتفكير ! نعم مريض !  
كالقاطرة ؟ هل هو قاطرة ؟ ! أى أنه آلة ؟ . . . واحس ثانى مرة بصدره

يضيق ، وبأنفاسه تتأزم ، وباللهاث يضخه • فامسك عن السير الحثيث ، لكنه لم يلبث حينذاك أن أحس بالم دفين في صدره • لم تمر ثانية حتى ازدادت حدته في قلبه • فتباطأ • إلا أنه أجبر على التمهّل • فتثاقلت رجلاه تلقائيا ، ثم وفقتا ، وجمدتا • فوقعت المحفظة على الأرض • وشرع يفتح قلادة عنقه ، ورقبة قميصه • فكأنه أراد بذلك أن يملأ رئتيه بالهواء المنعش الطلق حتى يخفف عن نفسه آلام قلبه التي برحت به • فوضع يمينه على صدره ، ويسراه على جدار ليستند إليه • وما هي لحظة ، شاهد خلالها : أن كل ما يحيط به يفعل ، ينفع وينمو ، ما هي لحظة حتى اصفر وجهه ، وجعدت ملامحه ، وغرقت مقلته ، وأحس بالدنيا تميد تحت ساقيه ، وبالبنيان ، والأشجار ، والسماء ، والسيارات التي بدأت تتحرك تدور به في دورة مهولة • ولمح خلال ذلك وجوها صغيرة ثلاثة تنادى : « عد إلينا يا أبانا إنا يتامى » وسقط مكانه سقطة واحدة في سكون تام ، بعد أن شرق وتلعثم : « هذا هوى لا يجدى !... » وظل كامل صباحه طريحا جوار محفظته التي ما زال ينتظرها وثيقته ، قرب كشك لبيع الصحف والمجلات ، بعيدا عن زحام المارة وصخب السيارات والحافلات ...

عز الدين المدني

ARCHIVE  
<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

# يوم في حياة "يوم في العجاجة"

بقلم : الطيب العشاش

حدث المكي قال :

حدثني عمي وهو من خاصة الشيخ عثمان قال :

عاش عثمان منذ سنوات ليلة ما زال يذكرها .

كان عثمان قد قضى شطر ليلته تلك يجاذي بغله ويصعد ان معا عقبة صخرا تفصل قرية « المساكنه » عن مزرعته . كان البغل يجري عربة غمرتها اكياس من الحبوب وخيمة وأوتاد ومحراثان حديديان وحز وتبن وكوز ماء . وكان يتعثر في مسيره تصده العقبة وتقل الشحنة عن الصعود . وكان عثمان يشاطره عمله . كان يجري معه العربة ويحرضه على السير بصوته وسوطه ، ويشاطره شخيريه ؛ فقد كان يلهث شديدا ويزفر وينظر نحو السماء وتتساقط الدموع من عينيه وكاد يخور عزمه لو لم تدركه « الجماعة » فتجلد وغالب مع بغله العقبة حتى غلباها وبلغا قمتهما فجرا . وانيسطت الطريق أما مها وأخذت تنخفض . وأطلت الشمس من وراء القرون فأضأت الكون ونفس عثمان . ولاحت على البعد مزرعته فامتلات نفسه أملا حياة ، وأشرق وجهه بشرا نشاطا ؛ فقفز وتربع فوق العربة ومديده الى مخلاة وسط متاعه وأخرج منها قصبه واستحث بغله الوفي وتنحنج ونفخ في قصبته ملء رئيته ففاحت الأنغام في سماء المزارع وأسرع البغل خطاه حتى بلغ المزرعة فأوقفه عثمان ، وحط عنه ، وضرب الحيمة ، وظن أنه الفوز . وشرع في زرع حقله . ولكن سرعان ما غضبت الطبيعة ، وإذا بالنهار من دأكن السحب ليل ، وإذا بالرياح تعبت بالحيمة فتسقط كالجمل يصرع ، وإذا بالتراب يتطاير ، وإذا بالبغل يجفل وهو يجري محراثه ،

واذا بعثمان تلوى به الريح فيسقط ويعميه التراب فيزحف نحو خيمته وهو  
لا يراها .

وبعد العصر هدأت الريح ، فلاح نور الشمس وهي الى الغروب ، فقام عثمان  
وضرب الخيمة وبات يبحث عن بغله ولم يجده كما لم يجد المحراث ؛ فعاد مع  
الفجر الى خيمته ، فوجدها فارغة لا تبين فيها ولا قمح ولا شعير ولا خبز ، فعاد  
الى القرية وترك الخيمة منصوبة الى أن يعود .

### الطيب العشاش



# جندل و نهر

بقلم : أحمد الهرقام

كانني عبرت البحر لالتقي فجأة بعينيك والهت وراء الشعر الذي تستفيق  
منه الشمس كل يوم .. واتسلق مجهدا شفتيك الحالمتين اللتين ضمتا الربيع ،  
وانفك الدقيق الجائهم في اباء .. عندما التقينا هذا الصباح في مقهى « ساحة  
السوربون » حدثت فيك بامعان فاضطربت اهدابك الطويلة وطوقتني منك  
نظرة غامضة قبضت في شدة على مجامع قلبي .. فشعرت كانني التقى بالمرأة  
لاول مرة .. كنت اطلع اليك وانت غارقة في صفحة كتابك الصغير ومن حين  
لاخر كنت تترشقين في رشاقة كأس الشاي أمامك .. ساقاك حين انحسر  
عنهما الغستان الازرق عند الركبتين تبدوان وقد استراحت الواحدة منهما على  
الايخرى كأنهما نهرا اناقة تدفقا فجأة من نبع مجهول والحصر الضامر رق عن  
اللمس فانفلت الصدر مثقلا ببساتين الرمان الشهي .. سالتك عن الساعة  
فابتسمت في رفق لينسكب صوتك في اسماعي رائقا .. العاشرة والنصف ..  
وكانك ادركت حيرتي وشرودي فالتفت الي بعد هنيهة .

- هل تنتظر احدا ؟

فاجبت في تلثم :

- لا أبدا ..

ولا ادري كيف جمعت بقايا شجاعتي لاجد نفسي امامك حول نفس  
الطاولة ..

- لا شك انك افريقي ؟

فابتسمت فى صعوبة واجبت كالمذهول :

- نعم أنا من تونس ..

فاردفت كانك تبحثن عن ذكريات قديمة .

- يقولون ان الشمس عندكم جميلة ؟

- الشمس فى بلادى لا تتعب ابدا والناس هناك لوحتهم الحرارة وارتسمت على جباههم سمرة دائمة .

فابتسمت جذلى كانك سعيدة بما اقول .

- انا اسمى « هيلين » ادرس العلوم منذ سنوات فى باريس ، وباريس لا تعرف الشمس كثيرا .

ونظرت من خلال الحاجز الزجاجى الى السماء الرمادية والى البنايات الداكنة العالية التى بدت نوافذها الكثيرة من بعيد كأنها اعشاش صغيرة .. شارع « سان ميشال » الطويل يعج بمشاة الارجل المسرعة .. والسيارات تنهب الطريق محمولة واصوات الباعة المتجولين تأتى من بعيد حارة تندفق بالحياة . تمثال « اوغست كورنت » تسمرت عيناه فى الافق وقد بدا كأنه يحرس باب الجامعة العتيقة على مدى الزمن .. ثم تنبهت على صوتك يقطع الصمت ...

- هل اعجبتك باريس ؟

فقلت وانا أنظر الى رجل يعانق امرأة بشوق فى ركن الشارع :

- نعم هى مدينة احببتها قبل ان اراها .. يشعر فيها الانسان براحة داخلية عميقة رغم الصخب الذى يملأ الشوارع ..

وعندما اقترحت عليك ان ننزله قليلا وافقت بسرعة فانبسطت نفسى واحسست اننى اقبض على الحظ فى قوة عجيبة فاخترقنا الحى اللاتينى ونحن نتحدث عن الادب والفنون وعن مشاهداتى فى باريس .. لم تستوقفنى هذه المرة واجهات المغازات الكبيرة ولا بائعات الجرائد واوراق اليانصيب الجميلات .

وقبل ان نفترق عند الزوال دعوتك الى مطعم صينى قريب لتناول طعام العشاء فابتسمت مداعبة .

— انت عربى تبحث عن الف ليلة وليلة فى باريس .

\*\*\*

الآن وانت تجلسين امامى .. تهددين وجودى فاتعثر فى ابتسامتك الواثقة  
الوديعه واعانق فى صمت خضرة عينيك الواسعتين .. الموسيقى من الشرق  
تنساب ناعمة كالافعوان فتجرف منابع الاحساس فى النفس وتبعث بها لى  
عوالم بعيدة بلا حدود .. والتنين الاصفر قد انتصب وسط القاعة وهو ينغث  
البخور المعطر من فيه . وصوت الصينيه الحسناء يسالك فى رفق عن طلباتك  
والقلم يرقص بين اصابعها النحيفه وشلال شعرها الليلي يبعث بالعبير  
الساحر الى انفى فارفع وجهى الى عينيهما الضيقتين وتنقلت نظراتي تتمسح  
بقامتها المديدة وبفستانها الحريرى الضيق .. الجدران مكسوة بالاحمر الداكن  
والناس يتهايمسون ويشربون فى سعادة .. وانت تبسمين هادئة فى ضوء  
الشمعة الراقص .. انا عشت سبع سنوات على ضوء شمعة راقص .. الجدران  
تنز بالروطية طول العام .. الجدران اسود اديمها من دخان الشموع فى ليالى  
الشتاء .. وباب الفرقة المهترى ينهزم فى كل ليلة امام البرد القارس ..  
فتصطك اسنان الاطفال السنه وتكوم اجسامهم الصغيره تحت رحمة الازار  
الوحيد البالى .. النوم لا ياتى بسهولة للذين ينامون فى البرد .. اطرافى  
تتجمد ورأسى ملتصق بالمخده الحشنة .. فاحاول التسلى بالنظر الى احديثنا  
القديمة وقد اصطفت تحت الحائط وفى احداها قبعث قطه اختى المفضلة تبحث  
عن الدفء .. او احاول التفكير فيما يقوله اصحابى فى المدرسة .. قال لى  
احدهم ذات يوم انه لا يستطيع ان يسهر خارج المنزل لان أمه تعاقبه وانها  
اصبحت لا تطاق .. فهي تبالغ فى العناية به والحوف عليه حتى انها تزور  
سريره اكثر من مرة فى الليل لتدثره .. ولا تتركه يخرج قبل ان تتفقد  
هيئته ، وغالبا ما تتقدم منه لتسوى قميصه او تحكم امشاط المعطف .. انا  
ايضا قيل لى ذات يوم ان امك قبل ان تموت كانت تهتم بك كثيرا وتقتنى لك  
اجمل الملابس .. تمنيت دائما ان تكون لى اما تقلقنى بعنايتها ويضايقنى  
خوفها على .. كثيرا ما جفانى النوم فأحرق فى الظلام واسترجع فى لذة غامرة  
ابطال القصص التى ادمن على قراءتها فى المكتبة العمومية .. فأتصور اننى  
املك حصانا جميلا ومسدسا سريع الطلقات وانتقل من قرية الى اخرى اهاجم  
ضيعات الاغنياء فى الليل واوزع ما اجنيه على اطفال الفقراء وامهاتهم ..



فيسيل ذكرى على كل لسان وتخف وطاة الظلم فى المناطق المجاورة .. وكثيرا ما يعود ابى فى آخر الليل فيطرح علينا « برنوسه » ويضع فى يدى بعض القطع النقدية الصغيرة لاشترى بها شيئا فى طريقى الى المدرسة .. جدتى قليلة النوم فى الليل .. كلما استيقظ قليلا ، اسمعها تسبح هامسة وتبتهل وغالبا ما تصلنى شهقاتها وهى تبكى فى صمت فادخل راسى تحت الازار واعاود اصطياد النوم ...

تريدى ان تقرر الكؤوس .. حسنا .. الورد الذى تفتح فى وجنتيك يبعث الى قلبى بالف نداء .. والفتحة التى شقت فستانك على الصدر زادت فى اغرائى .. خضرة عينيك تتكلم بالف لسان وشعرك المسترسل الذهبى اشتهى الاحتفاظ بخصلة منه .. اذكر انى احببت ذات يوم سمراء صغيرة من بلادى فاعدتني قبل ان تتزوج خصلة من شعرها الاسود وضحكت وهى تسلمها لى ..

- عندما تحن الى بحر بعض الشعرات فى غرفة مغلقة وساكون بجانبك فى طرفة عين ..

لكنها توارت وبخرت شعرها اكثر من مرة ولم تات ...

- ماذا تطبخون فى تونس ؟ لا شك ان اكلكم شهى ؟

فانتم مشهورون باكل التوابل وزيت الزيتون ...

- نعم ... عندما تزورين بلادى ساقدم لك مأكولات شعبية شهية ..

ساحة المنزل الكبيرة تقفر بعد الغروب ويوت اعمامى تغلق دوننا ابوابها .. هم يطبخون الاطعمة الشهية كل يوم .. وعندما يجن الليل لا نسمع الا ضحكهم المتعالى وهم يسمرون ويتندرون .. احد اعمامى كان كريما لانه لا ينسانا فى عيد الاضحى .. نتسابق يوم العيد منذ الصباح الى تقبيله وتهنئته بالعيد .. ثم نجلس على عتبة البيت نرقب فى شوق عملية ذبح الكبش وتقطيع لحمه .. كنا نخافه جميعا ونرهب من هيئته لانه كان دائم الصراخ يقف شامخا ويضع يده على بطنه المنتفخة ويشمرع فى اصدار الاوامر : اعطى لحمتين من الكتب لدار حفصية .. « اشويلى يا طفلة طرف الكبدة كاملة .. » وعندما يشتعل الكانون امام بيتنا نتحلق حوله ونستنشق فى لذة رائحة الشواء ..

وفى بقية السنة كنا نشعل الشمعة الوحيدة بعد الغروب وننتظر فى صبر عودة  
والدى ببعض الحبز والحضر .. وغالبا ما ينام اخوتى الصغار قبل رجوعه  
واقضى انا كامل السهرة واقفا بجانب صندوق جدتى اقرا درسا او اكتب  
بعض التمارين \*

- لقد قلت لى هذا الصباح ان باريس اعجبتك .. وانا لست من رايك ..  
فهى مدينة عادية جدا والحياة فيها اصبحت لا تطاق .. الناس هنا  
يسارعون كل اسبوع الى الريف لقضاء عطلم .. والشباب لا يعرف الا  
العريضة والجري وراء الفتيات \*

- باريس ساحرة يا هولين .. والحياة فيها غنية بالتجربة لماذا تضحكين  
هكذا \*

- الانسان الاوروبى حقق كل شىء فى حياته ولكنه اخفق فى صنع  
السعادة ..

السعادة ... لقد قرأت كثيرا عنها ولكننى لم المسها فى حياتى ...  
قالت لى جدتى قبل ان ادخل الكتاب \*

- اذا احفظت الستين فانك ستكون سعيدا امام الله \*

وقال لى والدى ليلة امتحان الشهادة الثانوية :

- لا بد ان تنجح لتعيش سعيدا \*

وقالت لى فتاة سمراء احببتها ذات يوم :

- لو نتزوج سنعيش فى سعادة دائمة ...

وعندما تخرجت من الكتاب وعلقت الشهادة فى بيتئ الكابى احسست اننى  
اجدف فى فراغ كبير وان الجوع ما زال يطاردنا والرطوبة ما زالت تنز من  
سقف الغرفة ... العامل الصينى المهذب ينحنى لنا فى رقة وهو يفتح الباب  
وشارع « سان جرمان » ممتد الى مدى العين .. نثيث المطر يداعب وجوه  
السمار واضواء المقاهى والمغازات تتراقص من بعيد كأنها تدعوك للدفء  
والاحتماء .. انعطفتنا الى اليسار قليلا لنحاذى مجرى « السين » .. يدك  
احسها حارة فى يدى وعبير شعرك يقطع التنفس عن وجهى وانغام القيثارة تاتى

من تحت جسور « السنين » الكثيرة فيثن صداها في اعماقي ويزيد تدفق  
الدم في عروقي .. شعورهم طويلة وذقونهم طويلة رايت احدهم هذا الصباح  
جالسا على الرصيف محتضنا فيثارة وقد كتب بالدهن الاحمر على ظهره ..  
« اوقفوا الحرب في فيتنام »

– هل تكفي الكتابة على الظهر لتتوقف الحرب في فيتنام ؟

انهم لم يعيشوا ويلات الحرب .. اغلبهم من عائلات غنية .. ولكنه انهيار  
اخلاقي شامل ...

صفحة « السنين » هادئة كعينيك واشباح العشاق تفضحهم من حين لآخر  
انوار قوارب السواح ويدك راقدة بين اصابعي .. اريحي راسك الصغير على  
كتفي ، واتركي ذراعي تطوق خصرك الضامر .. خطواتنا على الرصيف يتحد  
وقعها وحرارة النداء في جسمك يسرى صغيرها الى داخلي .. لو يتواصل  
الليل ولا ينتهي الطريق .. الليل في مدينتي وراء البحر دغل اسود والطريق  
مضجرة باردة وانا اظوف وحدي وقد وضعت يدي المتحمدين في جيوبى ..  
وصراخ القطط الجائعة وهي تنعارك على المزايل في الأزقة ينهش مسامعي ..  
في كل ليلة اقطع المدينة من الشمال الى الجنوب بعد ما اعطى درسا خصوصيا  
لابناء احد الموسرين .. ما اجمل ان يحس الانسان بالقوة وبجانبه امرأة حاجز  
من الضباب الكثيف يسد آفاق افكارى واغنيات الفجر على ضفاف « السنين »  
تنسكب في مسامعي حاملة .. وخدك الناعم يفوح بالعطر وهو يلامس صفحة  
وجهي .. حضور الاشياء يمحي من حولى .. الطريق ما زالت طويلة ..  
انظري الى جيذا حتى اضيع في خضرة عينيك وانسى اننى ساسافر عند  
الفجر ...

احمد الهرقام

# السراجة التونسية

قصة : للصادق الرزقي  
تقديم : عز الدين المدني

لا نكاد نعرف شيئا عن ميلاد القصة التونسية في مطلع هذا القرن ، ولا سيما في الفترة الواصلت بين سنة 1900 وسنة 1930 . ذلك ان الدارسين لم يهتموا اهتماما كافيا بالقصة التونسية ، ولم يقوموا بتاريخها ، وتقدها ، ولان النقاد التونسيين لم يقوموا « بحفريات » تكشف لنا عن مصادرها الصحيحة الاولى التي لم تنشر في المجلات والصحف الادبية وغير الادبية في تلك الفترة المجهولة من حياة قصتنا .

إلا اننا نعلم أن القصة التونسية مرت بمراحل تاريخية - هي في ما يبدو ككل نشوء قصة في العالم - أعني أنها مرت بالترجمة ، ثم بالاقتباس ، وأخيرا بالوضع والحلق .

وكان أول من ترجم القصص العالمي في تونس ، حسبما أثبت المؤرخون المحققون للقصة في العالم العربي هو الاستاذ محمد المشيرقي الذي نقل الى العربية سنة 1909 قصة « آخر بنى سراج » للكاتب الروائي الفرنسي شاتوبريان ، وأسماها الناقل « خاتم عقد بنى سراج » ، ونشرها في كتاب مع مقدمة تعريفية بالمؤلف .

ثم تولى الاستاذ ابراهيم بن شعبان في سنة 1910 اقتباس شريط أجنبي صامت عرض وقتئذ في تونس ، وأسماه المقتبس عمله هذا ، بعد أن صاغه في شكل قصصى كما أكد لنا ذلك الاستاذ البشير الحنقى وإن لم نعرش بعد الا على بعض ورقات من هذا الاقتباس أسماء « فضائع المقامرة » ، ونشره في كتيب .

## ﴿ الترقى ﴾

شركة اسلامية تونسية

في تجارة المنسوجات الصوفية ( اللفة ) وغيرها

استت سنة ١٣٢٨ . ١٩١٠ لمدة خمسة اعوام قابلة

محل مخازنها بسوق اللفة عدد ١٢٠ راس مالها مائة الف فرنك

قد علم الخاصة والعامة ما لاهات الشركة من المقصد الانسى والاممية  
الكبرى فتطاولوا لنيل الانخراط فيها ومدوا اليها يد المساعدة من كل جهة  
ومكان حتى ان بعض ذوي النفقة من المسلمين سكان البلاد الخزانة  
هزتهم اربعة التماضت وجب المزاومة الخبائية ( التي تمت الانسان الى  
طود الرفاهية والهناء ) فشاركوا هاته الشركة باسم متعددة

وقد امتازت هاته الشركة بالتحصيل على حسن الثقة من العموم  
لجودة منسوجاتها ورفعتها وهي تباع بالجملة

اما الانخراط في سلكها فيمكن بتقديم قسط او اقساط مجبلة  
او مطلب في الدفع مشاهرة - وقية القسط الواحد مائة فرنك  
والذي يدفع قسطه جملة له سهان من الربح اما الذي يدفع مشاهرة  
له سهم واحد - فنحت عموم المساهمين على الاشتراك فيها

وجاء بعد ذلك الاستاذ الصادق الرزقي فآلف قصة « الساحرة التونسية »  
التي تتشرف مجلة قصص بتقديمها ونشرها بحدايفها في هذا العدد ، وقد  
نشرها مؤلفها بين سنة 1910 وسنة 1915 ، وذلك طبقا لما جاء في اعلان تجارى  
شفيع نص القصة .

### من هو الصادق الرزقي ؟

ولد محمد الصادق بن محمد البشير الرزقي في تونس 1874 وتوفي بها يوم  
22 ديسمبر 1939 . وزاول تعلمه في الكتاب ، ثم في الزيتونة . وبعد وفاة  
والده في سنة 1900 ، انقطع عن التعليم ، وقام مقام والده في الكتابة بإدارة  
العمل في بنزرت . وفي هذه الفترة ، صاحب الأوساط الأدبية والثقافية .  
وتقلب بعد ذلك في وظائف إدارية مختلفة في العاصمة .

والملاحظ أن الصادق الرزقي ساهم في تأسيس جمعية الشهامة العربية  
لخدمة المسرح التونسي سنة 1909 . وعذب بعض المسرحيات التي ألفها الكاتب  
الليباني خليل القباني . وإلى جانب هذا النشاط الفني ، قام الصادق الرزقي  
بأعمال تجارية مختلفة بين سنة 1909 وسنة 1911 . وفي هذه السنة ، انتخب  
عضوا في لجنة الدفاع ضد مرض الكوليرا ، وساهم بعد ذلك في انشاء جمعيات  
اجتماعية تعمل في سبيل المصلحة العامة .

وأصدر الصادق الرزقي يوم 23 أبريل سنة 1921 مجلة اقتصادية اسمها  
« العمران » ، وهي أول مجلة اقتصادية مختصة تصدر في المغرب العربي  
الكبير ، ثم أصدر يوم 4 أبريل سنة 1922 جريدة « افريقيا » التي استمرت  
مدة أربعة أعوام إلى أن عطلتها الادارة الاستعمارية الفرنسية بقرار من سفير  
فرنسا بتونس .

وإلى جانب هذا النشاط الاجتماعي ، ألف الصادق الرزقي « رسالة في  
تربية النحل » ، وكتاب « الامثال التونسية » ، وكتاب « الاغانى التونسية » ،  
بالإضافة إلى « الساحرة التونسية » .

### الرزقي الكاتب القصصى :

إننا نعتبر « الساحرة التونسية » من أوائل القصص التونسية الموضوعه ،

لأننا ما زلنا لا نعرف - الى حد الآن - معرفة اليقين أول قصة تونسية موضوعه ، كما أننا لم نهتد بعد الى مصادر صحيحة تدلنا على ذلك .

والملاحظ أن هذه القصة طُبعت في كتيب يقع في 24 صفحة بالمطبعة التونسية ( مطبعة الزهرة سابقا ) كما ذكر لنا الاستاذ البشير الحنقي ، وإن لم نجد أية إشارة تدلنا على ذلك .

وهذه القصة فنية من حيث الشكل ، واقعية تاريخية من حيث المنهج الأدبي ، تونسية صميمية من حيث الوقائع والأحداث التي جاءت فيها . ويبدو أن « الساحرة التونسية » : أطول مما نعرفها عليه الآن ، إذ أن المؤلف ذكر في آخر صفحة 24 بالحرف الواحد « تم الجزء الاول ويليه الثاني » لكننا مع الأسف لم نعثر على البقية . وقد ثبت لنا بعد البحث أن الصادق الرزقي لم ينشر بقية قصته ، ولذلك أسباب لا نعرفها .

وللقارى أن يحكم في خصوص قيمة هذه القصة التونسية الصميمية (\*) .

عز الدين المدني

ARCHIVE  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

---

(\*) نشكر الأستاذين البشير الحنقي ومحمد الصالح المهيدي على المعلومات التي امدانا بها فيما يتعلق بالساحرة التونسية وبجياة مؤلفها .





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حمدا لك يا من جعلت تصاريف العبر • عند سماع التواريخ  
والموائد والسير • تنبيهها لمن افكر • فكانت عبرة لمن اعتبر •  
وصلاة وسلاما على اشرف خلقك الذي محوت بضيآء شريعته  
ظلام السحر ودياجي الشك والبهتان • وعلى • اله واصد سابه  
المطهرين من الرجس والخذلان

ARCHIVE  
كلمة للمؤلف

اما بعد : فاستغفر الله مما اقول • ولا رب عندي ان مثولي  
لدى حضرات القراء يخولني كرمًا منهم يسمح لي برفع روايتي  
هذه « الساحرة التونسية » اليهم لتثريين ايديهم من درر  
المعجائب وغريب الاخبار ما يدع فيها منهم طرفة شبهة ولذة  
سنية .....  
الصادق

ويستم جسمي كل جفن وقارة • يورد دمعي كل خد مسرد

صورة التفتت من أول النشرة الاولى لرواية الساحرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

حمداً لك يا مَنْ جعلتَ تصاريّف العبر ، عند سماع  
التواريخ والعوائد والسير ، تنبيهاً لمن افتر ، فكانت  
عبرة لمن اعتبر . وصلاة وسلاماً على أشرف خلقتك  
الذي محوت بضياء شريعته ظلام السحر ودياجي الشكّ  
والبهتان ، وعلى آله وأصحابه المطهّرين من الرّجس  
والخذلان .

كلمة المؤلف

أمّا بعد ، فاستغفر الله ممّا أقول . ولا ريب عندي  
أنّ مثولي لدى حضرات القراء يخولني كراماتهم  
يسمح لي برفع روايتي هذه "السّاحرة التّونسيّة"  
إليهم لتنشر بين أيديهم من درر العجايب وغريب  
الاخبار ما يدع فيها منهم طرفة شهية ، ولذة سنية.

الصادق

ويسقم جسمي كلّ جفن وتارة

بورّد دمعي كلّ خدّ مورّد

## الفصل الأول

### آية من البؤس

يُوجَدُ بَرَبِضَ الْجَزِيرَةِ بَتونس في خلال عام 936 هجرى مسكن غير مرتفع البناء ، ولا مرونقه .. ويحكمُ رائيه لأوّل وهلة أنّه غير أهل بأحد . وذلك حيث اتخذته العناكب معملا لنسج عنكبوتها ، فتمرّ عليه عشرات الأيام ، ولا يطرقه أحد . فمع ما هو عليه من منخفض الحال ، كان كأنّه عاشق يشكو هجر حبيبه .

لمن هذا المنزل يائرى ؟

ومن هم ساكنوه ؟

أمّا المنزل ، فهو كما ستعلم لوطني ذهب ضحية الجهاد أسيرا لاسبانيا .

وأمّا ساكنوه ، فإنّك لو اطّلت عليهم لوّيت منهم فرارا ولتجرّعت من بؤسهم صبرا ، إذ البين وسوء الحظ أحجباهم عن جميع الملاذّ الحياتية .

ذلك أنّك ترى عجوزتين تشنان بزاوية أحد بيوت الدارّ المار ذكرها ، وفناة لم تبلغ الخامسة والعشرين من درجات العمر جاثية ترضع طفلا ، وحولها ثلاث بنات لم تبلغ الكبيرة منهن السنّة السابعة .

ورغما عما يكسو فتاتنا وصغارها من الاطمار البالية  
الخلقة ، وعما تمثله هذه الدار من الفقر ، ومع كون  
هاته الهموم ، تحسبها قفزت بهاته المسكينة إلى درجة  
الستين . كنت لا ترى إلا جمالا فتانا وقدأ يزري  
بالغصون وغنجا فاتكا بهامه ، وسالف تمثّل سوء  
حظّها . وما قبل في الامّ يقال في صغارها .

إن اسفرت عن محيّاها أرتك سنى  
مثل الغزالة إشراقا بلا غيّر  
للشمس غرتها الليل طرقتها  
شمس وليل معا من أحسن الصوّر

عهدي بك أبشها الامّ ، وأنت زاهية زاهرة ، وظباؤك  
يترامون على حصنك ويفتخر الواحد منهم على الآخرة  
إن هو امتاز بقبلة لطيفة من نهديك . وانت تشين الغار،  
عليهم ، فتسترهينهم ثم تبشين في وجوههم  
فتسترضينهم ، حتى إذا ما أقبل الليل ، أقبل ذلك الزوج  
الجليل الذي كانت ملامحه تدلّ على ذكاء ، وشجاعة ،  
وفطنة . وجمال طلعتة ، وأسارير جبهته ويد لان على  
عزة في النفس .. فيتسابق الابناء ، ويتادون بأعلى  
صوتهم "بابا .. بابا" فيحمل (هو) الصغير منهم ، ويقبل  
الكبير ، ثم يمدّ لهم حلواء تدخل عليهم سرورا جديدا.  
ثم لما ينزع برنسه وجبته يتشاغل بقسمة تلك الحلواء

بين بنيه ريثما تكونين أحضرت العشاء . فنتقلان إلى بيت الجلوس ، ثم تستدعين حماتك وأُمَّك ، فتقدم كلتاها ، وعلائم السرور بادية عليهما لما تشاهدانه من علائم الهناء والوفاق .

ماذا حلّ بك الآن ؟

ومالي أراك يا ودیعة في حالة تنفتت لها الاكباد ؟

وهؤلاء الصغار ، ما لهم التأموا عند الغروب وتهامسوا ؟ آه ! آه ! لا شك أن الظلام أدخل عليهم جازعا جديدا . إنهم ما اعتادوا كل حساء ولا خبز ولا ماء . إنهم أحسوا ببرد قارس أجلسهم في وجوه بعضهم القرفصاء . مالي أراك ترسلين نظرات إلى السماء ؟ أنتمطرين رحمة من عند الله ؟ تنظرين إلى الباب كأنك تترقبين قدوم قادم .

أكففي بحقك هذا الشهيق . فقد بللت بدموعك الحارة هذا الثوب البالي الذي تشتغلين برقعته . لا . لا . لأن العجوزتين عيل صبرهما لما شاهدناك على هذه الحال ، بل لأن منظرِكَ يزد في نحول (أجسام) ابنائكِ الصغار ، فيترك لهم وقعا سيئا يتألمون من أجليهِ طول الدهر .

صبرا على نوب الزمان فإنها	مخلوقة لنكابة الاحرار
لايكسف النجم الحفیر وإنما	يسرى الكسوف لرفعة الاقمار

## الفصل الثاني

### الاعلام بالمغيبات

كَانَ جِوَارَ الْمَنْزِلِ الَّذِي مَرَّ وَصَفَهُ مَنْزِلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ لَطِيفٌ ، وَإِحْدَى دَفَّتِي بَابِهِ مَفْتُوحَةٌ . وَيُرَى خَلْفَهَا سِتَارٌ بِحِجْبٍ مَا خَلْفَهُ . أَمَّا الدَّفَّةُ الْآخَرَى ، فَهِيَ مَغْلُقَةٌ ، وَحَوْلَهُ جَمُوعٌ مِنَ النَّاسِ نِسَاءٌ وَرِجَالٌ مُجْتَمِعَةٌ وَقُوفَاءُ ، كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ ، وَكَأَنَّمَا بِنَفَرَتِهِمْ عَنْ بَعْضِهِمْ يَرِيدُونَ اخْتِفاءَ شَيْءٍ يَأْبُونَ أَنْ يَظْلَعُوا بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ . وَإِذَا اسْتَوْقَفَكَ هَذَا الْمَنْظَرُ الْمَهُولَ لِحِظَةٍ ، رَأَيْتَ أَنَّهُ كُلَّمَا خَرَجَ شَخْصٌ مِنْ وَرَاءِ تِلْكَ الدَّفَّةِ الْمَغْلُقَةِ إِلَّا وَحَلَّ مِنْ أَوْلَئِكَ الْمُنْتَظَرِينَ وَاحِدٌ . فَيَمُكُّ حِصَّةً مِنْ زَمَانٍ وَيُخْرِجُ ، وَيَحُلُّ مَحَلَّهُ غَيْرُهُ . وَكُلُّ مَنْ خَرَجَ إِلَّا وَتَرَى عِلَالَتَهُ السَّرُورَ غَالِبَةً عَلَى عِلَالَمَاتِ يَاسِهِ وَقَنُوطِهِ .. تَدُومُ هَاتِهِ الْجُمُوعُ أَمَامَ هَذَا الْمَحَلِّ ، وَيَدُومُ الْقَادِمُ إِلَيْهِ ، وَالذَّاهِبُ مِنْهُ مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى مُتَنَصِّفِ النَّهَارِ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ .

لَاشْكَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ يَسْتَلْفَتُ نَظَرَ الْقَارِئِ لِلْإِطْلَاعِ عَلَى مَا يَكُنُّ هَذَا الْمَنْزِلُ مِنَ الْعَجَائِبِ .

فَأَقُولُ :

أَنْ عَجُوزًا فِي الرَّابِعَةِ وَالسِّتِينَ مِنَ الْعَمْرِ تُدْعَى الْحَاجَّةَ

حسبية كانت اشتغلت في مقتبل العمر بالمعاصي وأفعال الخنا . وكانت في أثناء سياحتها في هاته اللجة المعكّرة بالادران ، أدراة الفسق واللّهو والمعاصي ، خبّرت أفكار العامّة ، وأخلاقهم في ذلك الزمن . فلما حصلت على ضياع الشّباب ، أرادت أن لا تعدم نصيبا مهما من المعاصي بصفة أنكي وأحطّ من الأولى حتى تكون مشوّهة من جانب الله ومن جانب البشر .

لما ألقى الشيب عليها مراسيه ، عملت فكرتها ذات يوم . فلم تَرَ مخلصا لها منه إلاّ بطور جديد تشدّ به الحزام ويعطيها مكانة أقوى من الأولى . فجمعت مالا ليس فيه درهم حلال . وغابت عاما في حج بيت الله الحرام كانت فيه بين حجّاج حاضرتنا مثالا للعفة والتقوى . وما (إن) نقل خبر رجوعها على السنة من سبقها من الحجّاج حتى تهيّأت النّاس لملاقاتها والاعتناء بشأنها حيث يعلمون ما كانت عليه ، وما آلت إليه . ثمّ كآان انقطاع أولي قرابتها بالتمات سببا في مُوالاة النّاس لها حتى بلغ من تعاضدهم ان اشتروا لها الدّار التي ذكرناها بهذا الفصل . وبعد أن وضعوا بها من الاثاث ما يلزم نقلوها إليها ، وسلّموا لها رسمها ، وأهدوها خادما وخادمة من السّود للقيام بشؤونها . وفي أثناء هاته الاحوال ، كانت الحاجة

لا تفتقر عن التَّسْيِيح والاوراد مع (إقامة) الصَّلوات في أوقاتها .

ولم يمض على حسيّة شهر أو نصفه إلّا وصارت تخرج إلى الشَّارع بقصد صلاة الجمع ، ثم زيارة بعض المعارف ممن أكرموها كما ذكرنا . ثم اشتهرت أنّها رأت سيِّدا في المنام تفلّ (بصق) في فمها ، وأذنها بالتطبّ ، ومعالجة الصَّغار والنَّفْسَاء ، وأنَّها في صبيحة اللّيلة التي رأت فيها الرُّؤيا وجدت كرسيّاً أخضراً ما جلست عليه ذات جميل عند مخاض إلّا ووضعت حملها بدون تعب . فأما أهل العقول السليمة فنفروا لما يعلمون أن جميع ما تنتاب به كان مخالفا للشرع . وأما البسطاء ، فأقبلوا عليها فتصادت في أعمالها بسرعة عجيبة ، وأسلوب غريب مع طلاوة في اللسان تبهر العقول . ولما استفحل أمرها ، وشاع ذكرها ، أضافت عليّ هاته الصناعات صناعة شيطانيّة : فقامت بدعوى أنّها ساحرة وتنبىء بالمغيبات . لذلك كانت الخلائق تفقد عليها زرافات ووحدانا . فيجلس الواحد منهم حيث لا يراها فيذكر حاجته ، فتجيبه من وراء ستار بما يتوهم منه الحق الصّراح . ولها الأيادي البيضاء في سلب الأموال ، والاستحواذ على العقول . فهي تمثّل نارة بطيب حاذق ، ونارة بقاّض غرام ، وأخرى بملك روحاني ، وآونه بشيطان رجيم . حتّى



أن هذا العمل تغلب على عقلها ، فصارت تعتقد من نفسها ما تعتقده العامة فيها .

لذلك استدعت في منتصف ليلة من الليالي وصيفيها فادخلتهما بيتا كان مقفلا لا يدخله سواها ، قد جعلته مستودعا لما جمعته من الحشائش والسموم ، وأنواع الحيوانات المصبرة ، وقطع الحوم الآدميين ، وهاماتهم ، وجثث الاطفال ، وغير ذلك من الآلات والجلود والمباخر والبخورات والبزور . فما نظرا هباته المناظر المعجبة ، حتى ارتاعا وارتعشا . ومع ما هما عليه من الغباوة ، لم يتمالكا أن تراجعما للوراء . وما أحست منهما تلك الشيطانة ذلك إلا وصاحت في وجهيهما صيحة علما بها منتهى الذعارة والبطش . ولما شاهدت منهما الانقياد إلى أوامرها تبسست ثم قالت : "مالي أراكما متراجعين للوراء ؟ أهذا جزاء تقريبي لكما ، وتزريكما مني منزلة أبنائي الاعزاء ؟ ألم تعلمنا أن هذا هو أعز شيء عندي ، وهو سرّي الذي لم يطلع عليه إلا من ساقته منيته إلى هذا المحل ؟ انظروا إلى الباب الذي لا يظهر من الزاوية اليمنى إلا نصفه : فهو محل أسراري العالبة . اثبائي لثريا ما فيه" . فما انتقلا من محل وقوفهما بخطوات حتى استأنست بهما . فقفزت قفزة كانت عند المخدع ، وهو يظهر في بادئ أمره كحائط مكمل لغيره . فهممت ، ثم ضربته برجلها ،

فتصاعدت منه روائح كريهة مخمدة للتحريك ، وقد  
تفطنت لما أصاب وصيفتها جوهرة ، فإن أعضائها  
بدأت تنحل ، وكاد أن يغشى عليها ، لأنها كانت  
رقية الطبع ، لطيفة الشَّمائل . فأخرجت حسيبة في  
الحين قارورة من جيبها شممتها إياها ، فأفاقتها . أما  
وصيفها زنكو ، فكان شديد العطل ، خشن الطَّبائع  
طويلا فوق المعتاد ، بسيط العقل إلى البكّة ، غليظ  
السَّاعدين والسَّاقين . فهو كقطعة من جبل فحسي ،  
لا تؤثر في شمه هاته الروائح ولا غيرها .

ما هبطت بهما الخائنة إحدى عشرة درجة ، حتى  
رأيا قاعة كبيرة من تراب ظهرت لهما على نور ذلك  
المصباح الذي كان يبذل حسيبة . وما اغلقت خلفهما  
الباب ، واشعلت فتيلًا مدهونا بشحم أخرجته من جراب ،  
الا وازداد بالوصيفين الارتباك والوجل . فإنهما رأيا  
أكداسا من الثياب ، وحفرا متعددة ، وجثثا مازالت  
أصحابها تن . فارتعشت المسكينة جوهرة آونة ، ثم  
سقطت مغشيا عليها . وقد صار زنكو كأنه منوم ،  
فاغتمت حسيبة هاته الفرصة ، فتمكنت بكلتا يديها على  
عنق جوهرة ، فضغطت عليها النَّفس ، فجرعتها كأس  
حمامها في لمحة بصر ، حالة كونها ضاحكة ، وهي  
تقول . "مسكينة ابتسي جوهرة ، وصلت إلى دارها عن  
عجل ، ولم تذق من عذابي . لا . لا . لا أذيقها عذابي ،

لأنّها طاهرة زكية ، لا كز نكو زوجها ، فإنّنه فاقد  
الرشد واليقين . وأقبلت عليه ، فصغتته على عنقه بضربة  
أرجعت إليه رشده . ففتح عينيه ، فإذا بجوهرة ميّة ،  
وجلّ لحم بدنها مقطوع لحاجة حسية . فلم يتمالك  
أن صاح صيحة أرجعت لحسية حالتها النائية ، واذهبت  
عنها حالتها الشيطانية . فجاءته منحنية ، وتصنعت في  
اعتذار . فذكرت أن حجرة سقطت عليها ، فماتت ،  
وانها ذهبت فداه ضحيّة انكؤ رورؤ . وبيّنه ،  
وجأطو ، وأنّ اللحم المفقود هم أكلوه . فتسلط هذا  
التفكير على عقله . ولذا قال لحسية ، وصوته يرتعش  
بكاء : "للاّ ها هي زكؤ مّرتهامات هو أكؤمما  
اندؤش جؤهرة" . وزاد في النجيب . فترامت  
عليه . وجلس في حضنه ، ولاطفته ، وقبلت فاه  
وقالت له : "للاّك الحاجه هي جوهرتك اسكت" .  
فأحسّ بسرور جديد دخل عليه سيما عندما قفزت .  
فأوقفته ، واطفات الفتيل ، وصعدت به إلى باب المخدع ،  
ففتحته . وخرجا معا . وأذنته إذ ذاك بعدم مخالفته أمرها  
في شيء . وأذنته بالمبيت في بيتها ، فكاد يطير فرحا  
لنجاته من تلك المهواة المظلمة . وعمل بكل ما أشارت  
عليه . ولترك اللعينة في غيها ، ولنرجع إلى ما كنّا  
بصدده إلى أن تأتي فرصة نبين فيها موبقاتها وأعمالها  
الشنيعة .

## الفصل الثالث

طرفة من المحن التي تواردت على سكان هاته البلاد

لما جلس الحسن بن محمد بن الحسن بن المسعود الحفصي على عرش ملكه بقصباء حاضرتنا ، وقبّل فروض الطاعة من وجهاء الحاضرة ، وبعض المشايخ يوم وفاة والده المرحوم ، وهو يوم الخميس الخامس والعشرون من ربيع الثاني سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة هجرية . وقتل من إخوانه وآل بيته ما ينوف عن الأربعين ذاتا . ولم يفلت ممن يخاف مشاغفتهم له إلا أخواه الرشيد وعبد المؤمن حيث كانا غائبين . ثم أن الحسن رام قتل الرشيد ، فاستشعر ، ولحق ببعض أحياء العرب ، واشتغل الحسن باللهو . وجمع ما يزيد على اربعمائة شاب أمرد يفسق بهم . فشق ذلك على أهل الحاضرة . وطلبوا منه ترك ذلك . فلم يشأ يترك شيئا . فنضرت عنه القلوب وأرسلوا إلى الرشيد ليملكوه . فلم يتمكنوا من ذلك حيث كان الرشيد لئجأ بخير الدين باشا صاحب الجزائر وقد فشى في المملكة خبر اشتغاله عن أمور الملك بالمالذ والملاهي ، فشقت عصا الطاعة عرب بطون رياح ، وأولاد سعيد ، وجبال مطماطة . وكانت قسنطينة في ذلك الوقت بأيدي الترك . أمّا عمالة عنابة فكان ابنه أحمد نائبا فيها . وهو من الناقمين على هاته

الفعال ، لأنه كان حميدَ الفعال ، حسنَ السيرة في بادئ أمره . وقد خرجت مدينة سوسة عن طاعته . فقام فيها صهره القليعي . كما خرجت عن طاعته القيروان . فقام بها الشيخ عرفه من ذرية سيدي نعمون الشهير جد الشّابين (نسبة إلى الشّابة والصبيّة من عمل المهدية) . فهذا بداهته استقدم رجلا اسمه يحيى بن لمتونه ، وادّعى أنّه حفصي جاء من المغرب ، وبايعه بصفة كونه سلطانا على القيروان . ونقي يحيى آلة في يد الشيخ عرفه ، اذ جميع ما كان يصدر بإذنه وبأمر به هو بإشارة وعمل الشيخ عرفه . وقد أحسن يحيى بسوء العاقبة ، ففكر طريقة في الفرار متسكرا . وانفذ العزم ، فجاء الحاضرة على هائه الصّورة . فألقى القبض عليه بالمركاض ، وقطع رأسه ، وطافت به عساكر الحسن بالمدينة .

## الفصل الرابع

### الشيخ دعلوش والحاجة حسية

وكان ممن يأوى إلى مجلس الحسن شيخ يناهز السبعين في العمر : أبيض اللون ، قصير القامة ، أزرق العينين ، ناتهما بضيق شديد ، بارز الجبهة والذقن ، طويل الوجه ، ذو لحية طويلة تبلغ سرته . وكان يتزبّا بزّي عجيب . فكان يعتّم بعمامة خضراء نهاية في

الكبر ، ويشدّ نَظْمَهُ العظيمة بحزام كبير من صوف أحمر ، فوق ذلك جبة صفراء وبرنس من الصّوف الخروبي . وكان في كلامه بعض التّخنّث . وقد تراكبت القلوب على محبته لما يأتي من المجون ، والحكايات المضحكة ، والنكات الادبية ، والمقاصد الغريبة . وقد كان في الطّمع أشعبَ زمانه . أمّا الجبن ، فقد بلغ به متناه . وقلّ أن لا يحدث مأثم أو فرح بدار من ديار الحاضرة ولا يرى الشّيخ دعلوش عاملا فيه بصفة تخيل لك أنّه من آل الدّار . ومع هذا ، فإنّه كان واسطة حساء لدى سلطاننا الحسن بماله عليه من الحقوق ، بحيث أنّه لو وجدت أعوان المُلطان تجري بالمدينة وتساءل من أحد على شخص ، فلا يكون ذلك إلاّ على الشّيخ دعلوش ، لانه كان يحبه محبة شديدة . ويراه واسطة عقداته ، بحيث صار معروفا عند الامراء ، والقواد ، والحرس . فيدخل للمجالس والدواوين والمجتمعات بدون استئذان .

وقد اتفق أنّه كان ذات ليلة ساهرا بمخزن قرب الجيّارة مع جماعة من متناولي الحشيش ، كانوا طبخوا في عشتها لحم كلب سمين بحمص وزبيب ، كما هي عادتهم . فزموه على الاكل معهم . فأكل ، ولذّ له ذلك حتّى صار يتلع بدون مضغ حتّى تكدر في سهره من ذلك . وكان ذلك داعيا لبقائه . وقد لعب

تناول الحشيش والكيف (الشيرة والتكروري) برأسه .  
 فاغتنموا هاتئ الفرصة ورأوا أن توسط الشيخ لدى حارس  
 باب علاوة داعية لفتح الباب ، وتمكنهم من التوجه  
 لصيد القنافذ . فجمعوا كلابهم ، وخرجوا بها ، والشيخ  
 مصاحب لهم . ولما بلغوا الباب قدموا الشيخ ، فافشى  
 السلام على الحارس . وما اقترب هذا الشيخ من منارة  
 الباب إلا وقفز الحارس ، فرد السلام ورحب بالشيخ ،  
 وسأله إذا كان يريد فتح الباب ، فأشار له "أي نعم"  
 ففتح (الحارس) الباب في الحين . وخرج الجميع ،  
 والشيخ معهم يتكلم بما لا يفهم ، إذ الشيرة تمكنت من  
 رأسه . فمشى معهم مدة . ثم زال عنه ما كان به  
 من الكدر ، وأحسن ببرد . فطلب الرجوع ، فودعوه  
 وانصرفوا مهزولين خلف كلابهم .  
<http://ArchiVe.net>

أمّا الشيخ ، فإنه لما بقي وحده تولى عليه  
 الجبن ، وأحرق به الخوف ، وندم على تفریطه في  
 الجماعة ، ورأى الباب بعيدا ، فرجع الهوينى ،  
 وضربات قلبه يكاد يسمعها كل مار . فلما حاذى  
 جبانة الجلاز ، آنس من بين قبورها نارا ، وكان  
 ضعيف البصر . فحسب أن ذلك نور شموع تضيء من  
 خيمة . ولما كانت من العوائد المحترمة ، أنه إذا مات  
 لاهل الثروة واحد ينصبون على قبره خيمة ويستدعون  
 للمبيت به ليال معلومة عدة من الناس يقومون بتلاوة

القرآن اللّيل كلّهُ ، وأن أهل الميت يوجّهون لهم من  
الاطعمة المتنوعة ما يكفي ضِعَاف ما يحتوي عليه ذلك  
العَدَد .

ولذا بشر الشيخ نفسه بهذه الغنيمة الباردة ، فتوجّه  
مسرعا والطَّمَع يقوده ، ولمّا قَرُبَ من هذا الضياء ،  
حقّق النّظر فيه ، فإذا هو يَرى شخصا طويلا يتأبط  
مَيِّتا بدون كفن . وهذا الشّخص مكشوف البدن ،  
ولا يعلو بدنه من النصف الاعلى إلاّ جلد ضأن من  
الامام ، وآخر من الوراء ، وبعض جلود حيوانات كالغيران  
واليرابيع ، والقَطَط ، والكلاب ، وعلى رأسه شيء طويل  
جدا كالقمع أو الطرطوراة ، وفي آخرها ذنب ديك ،  
وعلى جنبه رأس قرد ، وفي كل فخذ من فخذه سير  
من جلد مملّقة فيه جلاّ جل ، وأشكال من الفلفل ،  
والشوم ، والعظام . وقد تلون بدنه بنقط من أدهان  
مختلفة . وبين يديه قفّة مملوءة بأشياء لم يعرفها شيخنا .  
إلاّ أنّه علم أنّها بخور متجمع من كل شيء له رائحة  
كريهة (ولا أضلّ القارىء يتوهّم أنّ هذا الشّخص هو  
غير الحاجة حسيمة).

ولا تسأل عن الحالة التي أضحي فيها الشيخ "أبو  
الفروخ" . فإنّه ما رأى هذا المنظر إلاّ واصطكت ركبته،  
وطقة طقت أسنانه . فصار كصنم متحرّك في مكانه . وقد



زاد انذهال الشيخ حينما رأى النار تتأجج كلما ألقى فيها قرطاسا من القراطيس المملوءة بالقنفة . وهذا الشخص يقول :

« الشئ شئ ما ثم شئ وأنا الجيابة وللقمر حلاية وفي الدقازة مضوابة واللي يقول في غيرهما الحق هك يتحرق » (وترمي في النار قرطاسا).

« وينكم يا زُموم ويا غُموم ويا دَمْدوم ويا عُدوم ويا كُموم كلنكم تجيبو إلى النسا والرجال كل يوم كسروية يا كسروية جيب إلى تحبه على كل ثيابا تايل يا تايل جيبو هابل فكرون يا فكرون جيبو محشون قار يا قار جيبو للدار جربوع يا جربوع جيبو متبوع كركم يا كركم ها هو جا جا جا جا في وسط قلبو ألهم جاووه ووه ووه ووه هاتوه مكشف مزند حطوه لا يرفد ولا ينام حتى يجيني هذا العام يا شياطين وياهموم البلايا ويا جنون السما وعفارت الأرض اطلعوا بيه واهبطوا بيه وخلطولو رأسو مع رجلية وفي هذه الساعة ايشوني بيه ».

كانت تقول هذا الكلام، وتهمهم بكلام آخر لا يفهم، وهي تتمطط على تلك النار، والميت تحت

إبطها. وكان وصيفها زَنَكُو انهَكَهُ تعب الحفر، فوجد من كفن الميت غطاء وحسنا. فتغطى به، وامتد. وكان من سوء الصدفة أن أَلْتَفَتَ الشَّيْخُ إلى يمينه، فوجدَ هذا الممتد، فحسبه ميتًا آخر فزَادَ وجَلُّهُ، فحاول التَّنْقِلَ لو ساعدته خُطَلَاهُ.

لكنَّ اعتِنَاءَهُ بهول ما شاهده، اشغله عَن ذلك. فقد اَزْدَادَ رعبه لما سمعها تقول :

«مَالِكُمْ» أَتَيْتُمَا الْجَنُونَ لَا تَخْرُجُوا وَلَا تَضْحَكُوا وَلَا تَقْضُوا فَقَدْ قَتَلْتُ لَاجِلِكُمْ الْمَشَاتَ وَفَعَلْتُ بِسَبَبِكُمُ التَّرَهَاتِ وَعَمِلْتُ كُلَّ عَارٍ وَأَتَيْتُ كُلَّ شَتَانٍ.

«أَيُّنَ أَتَيْتُ يَا أَبَا الْقَيْسِ يَا جَاطِيَا الْهَنَاءِ يَا أَبَا السَّقُوفِ وَيَا أَبَا كَنَافٍ وَيَا مَوْلَاتِ الْحَشَّةِ يَا أُمِّي يَسَّةُ وَيَا سَعْدُونَ الْكَلْبُ وَيَا مَرْجَانَ الْقَطُوسِ وَيَا بَرَسُوسَ وَيَا كَرَسُوسَ وَيَا لِي تَحْطُ فِي عَيْنَيْكَ الْخَنْفُوسِ وَيَسْكُكُمْ يَا سَمْرَانَ الْحِمَامِ وَيَا لِي تَحْتَ الْأَقْدَامِ وَيَا مَوَالِي الْمَرْفَعِ وَالْمَنْمُورَةِ وَالسَّاكِنِينَ فِي الْمَقْصُورَةِ وَيَا أُمِّي كَسِيَّةُ يَا لِي سَاكِنَةُ فِي حِمَامِ الشَّيْبَةِ وَيَا مَوْلَاتِ الْأَشَاشِ يَا لِي سَاكِنَةُ فِي قُلُوبِ الْمَشْمَاشِ وَمَوْلَاتِ الصَّبِغِ الْآخْضَرِ يَا لِي سَاكِنَةُ فِي سَيْدِي عَلَيَّ الْأَسْمَرِ بِحَقِّ الْقَحَابِ وَالرَّبَابِ

وَالشَّبَابَ وَالشَّرَّابَ بِحَقِّ قُورُورُو عَرِيفُهُ وَدَمَّ  
 الْعَثْرُوسَ بِحَقِّ النَّشْرَةِ وَالرَّجَالَ الْعَشْرَةَ بِحَقِّ عَرِيفُهُ  
 مَنَشُوفُهُ وَرَجَالَ دَارِ كُوفِهِ بِجَاهِ السَّيِّجِ الْاَصْفَرِّ  
 وَ الطَّرِيطِرَ الْاَحْمَرَ الِلي فِي المَرِيفَةِ الْاَخْضَرِ اَنْ  
 تُجَيِّسُوهُ جَا جَا جَا جَا هَا هُوَ جَا .»

وبينما هي على ما وصفنا من الاخذ والرد والكر  
 والفر أحست بأحدوثة حدثت من غيرها، فالتفتت  
 فاذا هي بالشيخ على الزِّي الذي وصفنا. ولم تكن  
 تقدمت لها رؤيته، ولو مرة واحدة، فأحست بقشعريرة  
 في بدنهما، وظننته من الذين كانت تنادي بأسمائهم  
 فقالت وهي لم تغير أعمالها، بل جعلت الشيخ  
 وجهتها وخاطبته.

« أهلا بالشيخ المشمُوخِ الِلي كيف الطَّيْلُ  
 مَنَشُوخُ انت تعرف مقامِي وَلَحْمِي وَعَظَامِي حَنَيْتَ  
 عَلَيَّ وَوَقَفْتَ قُدَامِي .»

ثم سكنت، وقد مدت يدي الميِّت، وجعلت تتوسل  
 بهما فعمل الشيخ حيله في التملص فجعل يطول  
 ويقتصر بأسلوب غريب، وهو يقول وصوته يرتعش.

أنا شيخ أبو شيخ  
 اتيت القوم عن طمّع  
 فجئت ها هنا خلعت  
 اليك اليوم انحاز  
 اما ان انت ادنيست  
 آتيت سحرًا عظيمًا  
 يا قنفذى لك أشكو  
 ويا كلابي العظيمة  
 فهي التي افجعتني  
 ولتي في سروالي وزه  
 فصحت لي بهم كزّه  
 حياتي في يد العنزّه  
 وفي حقّي لك للكنزّه  
 الى الكيس كالخززه  
 دنالي فيه للحرّه  
 من جور هاته الخزيه  
 كلو الهاكل بزّه  
 وما حظيت بمزّه

فأبرقت عيناها وصحت بكل سمعها له، وهي  
 تحسبه يتكلم بلغة الشياطين حيث لم تفهم كلمة  
 مما يقول. وأدرك هو هذا الحال، فجعل يهيمهم،  
 ويدق الارن بعصاه، ثم بدا يتراجع الهويننا الى  
 ان غاب عن شخصها، ووجد نفسه قرب الباب فطرقة،  
 وما صدق بالحياة الا بعد أن فتح له الباب، وتمت  
 له الراحة باكمال ليلته بمحل الحرس حيث نام  
 الى الصبح.

- انتهى -

( تم الجزء الاول ويليّه الجزء الثاني )



بقلم : يحي محمد

تتساقط الثلوج بغزارة ، وتهب عاصفة هوجاء تجرد الاشجار من اوراقها الخضراء ، ولا تدب الحرارة في جسمه كما تعودها قبل ، سوف يأخذ قليلا من المسخنات ويجذب نفسا من لفاثته ، ثم يمتد للمشي بعض خطوات لعل ذلك يبعث فيه الحركة والحرارة المفقودة ، واتجه الى شارع المحطة كى يلتقى بها هناك ، وينهمل الثلج على المدينة بينما يظل الوادي غارقا في سكون ممل ، وكانت الاشجار قد انجحت فوق التلال ، الثلج يوشك ان ينزل من جديد .. البارحة أغرق المدينة بزقاقها وساحاتها الشاسعة ، ومنازلها ذات الخشب الأحمر ، ومرت فوقها سحب كثيفة : أنظّل الثلوج تتساقط كل يوم ؟ .. بقى نابتا في مكانه وعيناه شاخصتان وشعره الأسود ينتفض على رأسه .. وانطلق يرد عليها تحية :

- صباح الخير ..

ونظر اليها نظرة واعية :

- هل يتساقط الثلج من جديد ؟

فضحكت وأشرق وجهها وازداد حمرة ، وتألقت عينها وأحست بمتعة خاصة وابتمت :

- ما أجمل الثلوج حين تتساقط كحبات اللجين .

وظل يبتسم ابتسامة عريضة ، لم يكن مثلها ، : إنه يكره الثلوج ، بينما استمرت تراقب السماء مقهقة :

- بكل تأكيد سيتساقط الثلج بغزارة ،
- واحمر وجهه ، واحس بالبرد يسيطر عليه :
- الا تحسین بالبرد ؟
- فاومات براسها ، ثم قالت :
- لا مناص من أن أشعر به فى أنفى فقط •
- وانفجرت شفتاهما فى سرعة :
- لا بد انك تشعر بفارق بين بلادنا وبلادكم ••

- بالطبع !

ثم همس فى نفسه •• : حتما ان يكون الضرب يشعر بفوارق عديدة وتناقض غريب ، كل المنازل مصنوعة من الخشب كخير علاج لسموم الثلوج التى تتراكم فوق سطوحها ، وانبسبت تجاعيد وجهه واستطرد :

- رباه •• ما أجمل المدينة وهى بيضاء •• ليثها كانت بدون ثلوج •  
وقصدا مكتبة الجامعة بعد ما عرجا على المقهى ليمتزودا بمشروب يبعث الحرارة والدفء ، بينما اكتفت هى بكأس من القهوة ، وكانت رقائق بيضاء تنزل فوق الساحات ، وتكون طبقة من الثلج على الارض ، وأسرعوا فى السير ثم مسحت أنفها وقالت :

- خير ما تمتاز به بلادنا هذه الحيوط البيضاء الجميلة المتساقطة •

ثم هتفت :

- قطة سوداء يلفحها الثلج بشدة •
- ساحلها معى الى المنزل •
- ثم حلق فيها :
- الا تحبين القطط ؟
- قالت مشمئزة :

- السوداء منها على الأخص .

- لماذا ؟

- إنى اكرعها .. آكره اللون الأسود ..

وقهقهه قائلا :

- ولم ذلك ؟

- ذلك ما لا أعرفه !

\* \* \*

كان يعمل بالليل سبع ساعات متتالية باحدى دور اللهو ، يسمح الاوانى ،  
أو ينظف المطبخ من الاوساخ .. وهو يرتدى سترة سوداء لطختها الأقدار ..  
وما ان ينتهى الاسبوع حتى يتطلع الى بعض النقود كى ينفقها فى شراء الكتب  
وبعض اللباس ، ويدخل المحتسب ويبيده قائمات الحدم والعمال ، ويتنحنج  
قليلا :

- اصطفوا خلف الطاولة ، إنى لا أستطيع أن أسلمكم النقود دفعة واحدة .  
ثم بدت عليه علامات الغضب وصرخ :

- من أنت ؟

- أنا من الحدم ..

فصاح فى وجهه :

- اخرج من الصف .. مرتبك غدا ..

وسعل الشاب الوسيم واتجه يسارا نحو بعض العمال وقد احتقنت  
وجوههم ، وكان يضحك بصوت مرتفع :

- كان على أن احضر كيس نقودى ! ..

وسار فى طريقه الى البيت ، وشعر بضيق كبير ، وفيما هو يفكر ... فى  
الاشياء التى سيطرت عليه ، غريب فى الدنيا الجديدة ، تهرب من يديه الحياة

فيجرى وراءها فى معاناة .. ويراعها واجمة تنتظره على أحر من الجمر ، وتأجج  
حنقها :

- ليتك لم تذهب الى هناك .. أتستغل مع الحشم ؟

وشعر بمسحة من الغلظة تنتابه :

- ولم لا أمل مع هؤلاء ؟ أليسوا من البشر ؟ ..

واستهوى البرد يقصف ، وظنت الثلوج كثيفة فوق الارض ، واحتسى قليلا  
من الحمر المعتق ، ثم أدار عينيه فيها مفكرا ، وكانت الريح خارج المنزل قد  
هدأت بعض الشيء ، وتدفقت الحرارة فى جسمه وشعر بأطمئنان كبير .

بينما ضحكت ذات القوام الفاتن ، :

- بعد أسبوع ستفرق المدينة فى كرنفاليها السنوى .. وسيرقص الناس  
فى الشوارع والساحات العامة .

ومدت يدها بتكاسل واغراء ، واستطردت :

- ستتردى المدينة أحمل حلال الزينة والبهجة ، وستراقص النوافيس  
الملونة من فوق الزووسل وعلى أغصان الشجر ومن سطوح المنازل .. :

- يبدو أنك تحبين الكرنفال .

قالت مبتسمة :

- كلا . لست باقة من باقات المدينة البائعة .

ثم أردفت :

- لا اكتك ! إن طبايع مدينتنا خلال هذا الكرنفال متناقضة .

فأجابها :

- منذ أيام كانت المدينة مثالا للاتزان والوقار . لكنها خلعت ثوبها فى هذه  
الفرحة العارمة ..

ثم قالت :



- هل فى بلادكم كرنفال ؟

نفت دخان لفاثته وهز رأسه :

- فى بلادى أعياد شعبية كثيرة •

فقال على الفور :

- وهل ترقصون فى الطرقات ، وتطلقون العنان الى الإباحية ؟

وجلجلت القهقهة فى حلقه :

- ولم لا ؟ لكن فى خشونة طبع !

وتجسمت الحيرة فى وجهها :

- لعل حمى المجون عندنا •• وعندنا فحسب !

\*\*\*

تضاعفت الفرحة فى المدينة واستحالت الى نشوة مترامية باسطة جلالها على كل شىء ، والصرخات المتتالية توقف الاعصاب فى الحانات ، وعلى الرصيف ، وبالحدائق ، والشوارع •• لقد دفنت المدينة الرصانة منذ يوم ، وتجردت عن واقعها ، واقع السذاجة المخدرة ، قد تكون ما تتذوقه فى الكرنفال أحلى من الحقيقة المعزوجة بالشك ، فتمردت على التقاليد المألوفة ، وخرجت من صمتها الثقيل لتعيش اياما فى سيطرة العبث ، وتنوع الضجيج والمزح ، وزحفت عرائس من الريف جميلة ترتدى افخر ما لديها من لباس شعبى ، وأشارت عليه بان ينظر الى الجماهير الهازجة ، وفى اشكال مختلفة كأنها السدى ، وحدقت مليا وأضافت :

- أشعر بأشمزاز يملأ نفسى •

فتغيرت ملامحه وقال :

- هل يقلقك الكرنفال ؟

وانتشر التردد على وجهها :

- أف ٠٠ الكرنفال لعنة تحصد الحديقة ٠٠ إني أمقته بقدر ما يعجبني فيه الضجيج والصخب والغناء والرقص والفوانيس الملونة !

وتابعا طريقهما نحو جسر المدينة حيث تتلاشى الأنعام ، وتتمزق فوق أشجار الصنوبر الهادئة وعلى ضفاف النهر ٠٠ ويأتي الصخب متقطعاً في الفضاء ، وأصوات الطبول تلفت انتباههما فيتابع حديثه :

- عندنا مثل هذه الأنعام الساحرة ، ضارب الطبل ورفاقه يتفننون في مزج الألحان المرحية .

فتألق عنقها وقالت :

- إذن حدثني عن هذه الألحان التي تستهويك .

وأشعل لفافة أخرى :

- حينما كنت طفلاً الهو مع الرفاق في الحومة ، امرول وراء الطبل مصفقا لألحانه الشعبية ، ولما يقبض على طرفي شاربيه ليفتلها ترتجف خوفاً منه ، وكانت ثيابه النضفاضة تضيف عليه ألواناً من الوشاية ٠٠ نعم ما زلت أتذكر ذلك .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فأشرح وجهها وقالت :

- شيء جميل ٠٠ ما أعذب لهو الطفولة .

ثم تنهد :

- ألا تشعرين بأنك ما زلت طفلة صغيرة ؟

فضحكت :

- ها أنت تراني أمامك .

- لماذا لا تكوني طفلة مدللة ؟ تعودين الى عبثك المريح وسط هذه المجموعة من الفتيان في الكرنفال ؟

- ذلك ما لا يبغيه طبعي الحاد أحياناً .

- أوه ٠٠ أنت لست واقعية .

وتدافع الدم الى وجهها العابس :

– هل الواقعية فى العبث ؟

– ولم لا ؟ أما درست فلسفة العبث ؟ ..

كانت الجلوسة محببة الى نفسه ، هى هنيئة عابرة ، أو همسة حاملة ، تنساب كل مساء على النهر ، يرقب البقطة الرائعة .. الشمس هنا فى هذه المدينة لا ترسل أشعتها بانتظام – فهى تعبث على الاخرى – كما يعبت الناس فى الكرنفال ، ما أحل العزلة على الجنس ، وفوق النهر الهادى ، وحفيف أغصان الصنوبر الطروب ، وخريف المياه ، وزقزقة العصافير .. كلها أنغام تنسج للمدينة ثوب الكرنفال الساذج ، وهذه الحضرة الزاهية ، وتفتح الأزهار ، ومرح الحمام ، ألوان غامضة السر ..

\* \* \*

ورقصت له فى إغراء مثير ، كانت تجيد كل أنواع الرقص الجديدة ، ينبغى أن يتزود الغريب منها حتى يكون على أهبة الاستعداد إلى المباراة ، واندفعت كالمجنونة وشق صوتها الصدى ، بينما هو يصيف فى غبطة :

http://Archivebeta.Sakhril.com

– هذه رقصة جد مثيرة ..

– ألا تستمع الى هذه القطعة الرائعة الجديدة ..

– لكننى ما زلت الى الآن أجهل الرقص ..

– وانبثقت من فمها قهقهة متكاسلة :

– سأعلمك أنواع الرقص بسهولة ..

– وأرسل ابتسامة ساخرة :

– لكن ، لا أستطيع أن أتقن الرقص ..

– ما لك تتشاؤم ؟ أليست لك استعدادات طيبة ؟

– كلا ..

– أوه .. انت تسخر من الرقص ..

كان العرق الازج ينز من جسمه ، بينما انفلتت قهقهة داوية ثم اضمحلت القهقهة فى حلقه ، وصرخ فى وجهها :

— أرايت كيف لا أتقن الرقص ؟

— ستحاول من جديد .

يكفيه أن يمزح قليلا ، أن يعذب خصرها النحيل ، فيغمره بحنانه ولهفته العطشى ، لا يريد أن يتعلم الرقص .. أن يشبع نهمه فى الاعياء والمعاناة ، أن يتراقص الظل أمام عينيه .. أن يشعر بانقباض شديد فى نفسه ، وباجهاد ثقيل ، الرقصة الجديدة ترهقه كثيرا ، لكنه يبحث فى أعماقه عن النشوة التى عبثت به ، وطلق ينظر اليها فى سخرية ... سيدخل الواقع العابت ، ويظل فى تفكيره وسداجته بعض الوقت .

— ما بى ؟ هل جنت ؟ يجب أن اتعلم الرقصة المزعقة ..

ساعود اليها بعد حين ، بعد انطفاء هذه النار التى تاكل أحشائي .

ساعود اليها !

وتأبط ذراعها وأغرق معها فى رقص جنونى ، بينما أطلقت العنان لضحكاتها المتتالية ، رقصة عنيفة أثار قلبه الجانح ، رقصة غائبة محمولة .. وهمس :

— انظرى كيف أجدت الرقص فجأة ؟

وتمايلت خصلات شعرها الأشقر ، وصاحت :

— حقا لقد أصبحت راقصا ممتازا ..

ثم انفجر ضاحكا وانطرح على الفراش ، وكانت تغمره فرحة غريبة ، وظل يرقب ارتفاع أذبال فستانها الابيض الشفاف ، ترتفع ليرى شحوب ساقها ، ورفع رأسه ثم ذهب فجأة نحو باب الغرفة ، كان القاسم زميله الطالب الزنجى فسأله :

— ماذا كنت تفعل ؟

— لقد التقطت أذناى حركة غريبة فى بيتك فعزمت على زيارتك فى مثل هذا الوقت .

ثم التفت اليها مبتسما :

– صديقي في الجامعة .. إنه يهوى الرقص .

كانت مستلقية هناك على الفراش تراقب بصوت خائت شمس الترانيم .  
ينبغي أن يجرب حظه هذا الزنجى الوسيم ، وقف في مكانه باعنا ، بينما  
استمرت في أدائها للحن المحبب الى نفسها ، كان من المتعذر عليه أن يجد هذه  
الغادة الشقراء . لقد اشتغل معظم أيام الشتاء القارس دون أن يجد السدف  
الذي يبحث عنه .

وصاح كالمعتوه :

– لقد جاء دورى الآن ..

وانتفض يرتعش على النغم المتقطع ، وصفق :

– أتجيدن هذه الرقصة الافريقية ؟ أنظري ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وطفق يركض فى القاعة . رقصة من أدغال افريقيا دغدغته ، وأخذ يترنم  
بالحانها الشجية ، وتفنن فى انعطافاتها الساحرة ، بينما بدأت هى تنقرز منه .  
هل تضم خصرها الناعم الى يديه المرتعشتين .. إنه أسود وهى تبغض اللون  
الأسود .. عادات وتقاليد ، ما أبغضها واشدها وقعا على نفسها الصغيرة  
الساذجة . وقالت فى امتعاض :

– لقد مللت الرقص ..

فجذبها إليه قائلا :

– هل تتذكرين هذه الرقصة . لا تغيبى عن رقعة شعورك ... رقصة  
الزنج المائعة .

ثم انشغل عنها .. هل أصبحت بشعة الى هذا الحد ؟ أم أنها مريضة موزعة  
النفس ، .. وتحرك الأمل فى نفسه يدغدغه ليصور هذه الاحتياجات ، هذه  
العاطفة المثقلة بالحقد والتقرز ، سيدفع بقصته غدا الى الجريدة التى اعتمدت  
طبعها ، بينما شرعت أبواق تنفخ فى الفجر معلنة انتهاء الكرنفال ... وأخذ  
يحتضن أوراق قصته ، وأشعل لفافة ، وأطلق زفرة من أعماقه ، وتراقصت  
السحابات فى جو الغرفة ، وكان الفجر قد شمع نوره على المدينة العائمة فى  
الظلام .. عاد الفجر معه الصبح الضحوك يمشى فى نشوة وخيلاء ليرسم  
على الوادى النصير صورة الحقيقة كما هى .

يحي محمد





**للكاتب : غريثا كلديرون (\*)**  
**ترجمها عن الانكليزية : عمران النين**

هل تتذكر الرقصة الروائية ، رقصة الرمبا للفنانة الشهيرة شياليتو الاسبانية وانا ملها المخضبة بالحناء المشيرة إلى السماء ؟ هل تتذكر ضوضاء النظارة وصخبهم يطنبون بكل إلحاح أن يروا منها مشهدا آخر فتطيعهم هذه الهيفاء صاغرة متسامخة لمدة لحظات فحسب وهي تبتمسم كالملاك الهاوى في أبشع سمير .

وإذا لم تشاهد شياليتو في رقصة الرمبا فكأنك لم تعرف معنى حب المناطق الاستوائية الحار . إنها في واقعتها تلعب حسب ميلها الفريزي ، لعبة قاسية تهيج بها نار الشهوة وتضرم أوارها وتدفعها مشيوية هكذا . وما أشبه هذه الراقصة بفراشة الفرس الحائمة حول النار دون أن تصطلي بلهبها .

لقد تعلمت شياليتو الرقص في جزر المحيط الهندي حيث جرت أحداث هذه القصة ، واشتهرت - برقصة البطن - رقصة الطبقة البورجوازية وهي تمتاز عن نظيراتها بارتعاش النهدان . نهدان كحامتين ناصعتين مستعدتين للملامسات الخفيفة والمداعبات اللينة . نهدان صالحان أن يوضعا في أصيص جميل متعة للناظرين . فيها ترتدى شياليتو ثوبا جنيا ستهترا يحكي حركات الرقصة في تموجاتها وانعطافاتها ، ثم لم تلبث أن تطرحه جانبا بعد بسرعة لا يحموها النسيان من الحياة .

إن كل من يسمع عن هذه الأعجوبة الغاوية يختل اتزانها ، ويطيش لبه ، غير

(\*) Garcia Calderone من بلاد البيرو بأمريكا اللاتينية .

أن مثل هذا الاحساس لا يثير إعجابها لما لها من معرفة بالرجال ، قل أن يوجد لها نظير وهي الحبيرة بطواياهم العلمية بلواعجهم .

واتفق أن كانت تتجول في أمريكا اللاتينية . وأوقعت الأهل في حبالها إلى درجة الحبال حتى أزمعوا أن يتخذوها هدفاً ليانصيب خاصة بها .

إنها فكرة فريدة من نوعها تحمس لها الجميع . وليس بالعجب العجائب أن يقع ذلك بين أهالي هذا البلد المترامي الأطراف في جزر قصب السكر والعسل المصفى ، هؤلاء الذين يتركون كل شيء للبحث حتى الغادة الفاتنة . ويمكن لفرد من هذه الجماهير المحتشدة إذا واثق حظه أن يربح بورقة الدخول إلى المسرح تلك المرأة الخلابة يحملها معه أنى شاء ليلة بأكملها بعد انجاز مهمتها الفنية طبعاً . واحد فقط من الحاضرين يمكن له أن يربح . وهكذا تقدم الهواة صفافاً صفافاً يقتنون التذاكر من النوافذ . وكل رجل يتخيل أنه سيصبح « دون جوان » ، فتراه يحملق في الآخرين بنظرات شذراء يرى في كل منهم منافسه المحتمل الذى هو بصدد شراء حق يمكنه من شياليتو ويجعله أسعد السعداء .

وأما عادة المسارح ، فقد غشيتها اضطرابة خفيفة عند قدوم المساء ، ومرت فوق عينيها المتناقلتين مسحة تكاد تكون عنيفة يرمى هذا الجمهور الراض بكل شدة بقية الطبوع والوان الموسيقى والرقصات . جمهور لا يريد سوى شياليتو برقصاتها المواربة ، رقصات الزنوج التقليدية والغاني ( الكريول ) الرقيقة الحاملة ، ولكن عجباً ما بالهم هذه الليلة ؟ لا وجود للمتحمسين الصاخبين الراغبين في الزيادة ! لا وجود للمقترحين أغنية أو التشبهين برقصات أين مكأؤهم ؟ أين تصدياتهم ؟ تحسبهم نياما وهم أبقاظ إنهم واجمون ينتظرون على أحر من الجمر سحب القرعة . وما أشبهها بقرعة عائلية في شكلها ونظامها غير أنها فوق الركب ، وهدفها مخالف .

واستعد الجميع لبداية العملية . وتكفل رئيس المسرح بنفسه للإشراف عليها منقبضاً نوعاً ما ، ومتيقظاً لأدنى شبهة أو خدعة كسى يقع في الحال استدراكها درءاً للخصام واللجاج ، ولما قد يطرأ إذا ما رغب عدد من الرجال الشداد الغلاظ مطاردة هذه الفاتنة وافتكاكها من الفائز الأوحده .

صدقنى إنه أكثر من مجرد شهوة تحدد بالمرء إلى هذه المبهاج المياسة وإنك لا تتصور مبلغ السحر والرومنطيقية المتعلقة بالفنانة الأوروبية لدى أهل



أمريكا الجنوبية الحالمين بالاندلس • فالفرنسية عندهم باريس بأجمعها •  
والاسبانية هي إشبيلية أو غرناطة بتغاريدهم عصافيرها وأزيز صراصيرها ووجع  
شمسها • وهذه التخيلات نوع من الاغراء الذهنى البهيج يغشى عواطف  
المتفرجين • وقوام ممشوق ، ووجه وسيم ، ومنظر جذاب ، وصوت ملؤه  
الدلال • كل هذا لا يعين على اخماد الشهوات الملتهبة •

وفى منتصف الليل بالضبط دارت الدوائر وقام رجل يرتدى لبسة  
الأمسيات ويم وجهه شطر النظارة ونادى عدد 213 • ولم يجب أحد ، وطال  
هدوء الانتظار غير أن أحد الحاضرين كان بجوار الفائز فوكزه بمرفقه ثم عزه  
حتى كاد يجبره على الوقوف • وأخيرا وقف الفائز : إنه زنجى جميل يسميه  
المستمعون « قطعة أبنوس » وتسميه عجائزهم « أسود كالخطيئة » وقف وقفة  
الرهط الملون بتكلفه للوقار وبسخريته الممضة ، وانطبعت على شفثيه ابتسامة  
حرية بالرد على أعين الجماهير الشاحصة وافواهم الفاغرة • وبكل اناة وبكل  
تباطىء أخذ يورق كنشاً ويقطب صفحاته الواحدة بعد الاخرى يبحث عن ورقة  
الربيع وأخيرا وجدها داخل ظرف قذر • ورفعها الى اعلى من رأسه كي يشهدها  
الجميع وقطعها اربا اربا ثم نثرها على رؤوس الجماهير المدعوشة كما تنتشر  
فتات الاوراق ابان المواسم والاحتفالات •

هذه الحركات الصريحة جعلت رفضه للهدية باذى الواضح ، ولكن الجميع  
لم يصدقوا بأنه نبذ شاليتو وردة الاسبان الجميلة • وزاد • فنظر اليها وصور  
لها علامة النفى برأسه • وانبسظت اساريره وطابت نفسه لهذا الاستياء الذى  
أحدثه •

وانفجرت شحنة الضغينة الكامنة فى قلوب المستضعفين عنصريا • وانفلق  
منه بؤس أسلافه الذين ماتوا عبيدا تحت قصب السكر • نعم إنه أخذ الثأر  
وبدا فرح متزايد على وجه فحمى عنيد • لقد احتقر عدداً ما يحبه الرجال البيض  
ويتمنون الوصول إليه بكل لوعة وحنين • وبهزة من اكتسافه دالة على عدم  
الاكتراث واضحة المعنى خطيرة الأهمية كرر الاحتقار واستعد لمفارقة القاعة •

فانتفضت شياليتو فوق خشبة المسرح واضعة يديها على أوراكيها وفى  
غضب إسباني انهالت تشتتته وتبدى تقزؤها منه • غير أن كلماتها تعد

من باب الاطناب لأن الحاضرين بأجمعهم انقضوا عليه ، وطفقوا يوسعونه  
صفعا ولكما •

إنهم سينتقمون من هذا الأسود الذي أعرض عن زهرة الأندلس وأحتقر  
عادة الأسبان وسيجعلون لاستهتاره حدا •

وبعد مدة وجيزة ثقلت جثة هذا الأسود إلى المستشفى • وطرحت لعبة  
البيانصيب على شيا ليتو من جديد •

**عمران النين**



# باب البحر

بقلم : عبد الواحد إبراهيم

لسمات الطل لتلك الأوراق الخضراء اليانعة ما تزال بادية الأثر ، وانسام هذا الصباح الحريفي البديع تهزها في رفق ولين ، فتتهز متكاسلة ، متباطئة ، كالحائف أن تنقلب المداعبات الرقيقة إلى عنف وسورة .

•• هي وريقات صغيرة بادية الاستدارة والسمنة ، اشتدت خضرتها ، وأومضت تحت الندى ، فكانها دهنت بالزيت ، وتكاثرت حتى دغلت ، فصارت كالأوجمة الصغيرة ، مفرعة على سناق هذه الشجرة الرقيقة الهيماء . واستظل بعضها ببعض من وقع الصيف وقبضه ، فما استطاع أن يؤثر في طراوتها ، أو ينقص شيئاً من ورائها ونضرتها .  
<http://Archivebeta.com>

•• ثم هذا الحريف قد جاء ليجمع أشلاء الصيف ، ويدفن ضحاياها ، فأخذ يرادها ويعابثها ، مستكنها سر صمودها ، مستغرباً خلود بهجتها .

أنا واقف هنا منذ زمن ، مسنداً الظهر إلى إحدى هذه الشجيرات التي تظلل محطة « التروى » المواجهة لباب البحر ، تسحب ناظري خضرة الأوراق ، وتشدهما إليها زمناً ، ثم أعود فأسحبهما ، وأمسح بهما الشارع العريض .

•  
صحوه النهار لا تمتد إلى هذا المكان منذ ساعتها الأولى ، فالعمارات الضخمة على جانبيه تغطيه بظلالها الجبارة ، وتعترض طريق الضياء .•• أما الهدوء ، فشامل عام . لم أتعود مثله في هذا الشارع الصاخب الشائر أبداً . لا أثر للضجيج الآن . فقد ابتلعت المكاتب أصحابها وروادها ، ولم تبق في الشارع الساكن سوى العربات الفخمة المتراسة تجاه الأبواب الفاخرة الأقواء ، تتلقف أناساً ، وتدفع بأناس .

••• أوصلت السيارات أصحابها جميعا إلى مقاصدهم ، وبدأت فى مراضتها تلك ، تنتظر الزوال كى تعود إلى اضطرابها واصطحابها •• حتى « انترولى » قل تردده على المحطة ، وصار يمر مقفرا أو يكاد •• يقدم فى رفق منسابا بين رصيفي المحطة ، ثم ينصرف فى رفق كذلك ، ناسيا إلى حين ما اعتاده من حثيث السرعة ، ورج وهرولة عند الاقبال والادبار •

تداخلت نسمات هذا الصباح الحريفى بين أوراق الشجرة المواجهة لى كأصابع سحرية مديدة ، وهزتها ، فتحركت متخاذلة ؛ ثم انتفضت فى عصبية ، فتراقصت فى ناظرى مئات الصفائح الصغيرة الخضراء ، يلمع بعضها ، ويخبو الآخر ، ثم ينعكس الأمر •• كل ذلك فى سرعة عجيبة ورقة متناهية ، مما صورها لى صنوجا دقاقا ، تحركها أصابع عديدة غير منظورة ، فوق قوام هذه الراقصة الهيفاء •

الهانى كل ذلك الجمال عن الانتباه لوجود ماسح الأحذية الذى استقر عند جذع الشجرة ، وانهمك عندما كان خيالى يرفرف حول الوريقات اللطيفة ، فى صقل مكانه ، وترتيب أدواته فى آلية غير واعية ، وقد أنقل النعاس جفينة • حتى إذا مر بقربه كناس البلدية يدفع جنب الرصيف حصالة من الأقدار المائعة وألقى عليه النجبة كالعادة ، انشبه ورد النجبة بأحسن منها ، لكن من غير أن يلتفت وما زال على انهماك فى ترتيب العلب ورصفها ، ومسح الصندوق ، وتفقد المكان •

• « صباح الخير بو لعراس » •

• « صباح الخير والعافية •• ماشية مليح » •

• « ندز فيها بالركب » •

• « دز هالو الشوية لغادى » •

وإذا وصل الكناس فى محاذاة الماسح عن له أن يقف لحظة يشعل فيها لفافة . ويتبادل الحديث مع الرجل الذى ألف أن يراه كل يوم ، ويحكى له همه الذى يستجد مع كل يوم ، دون أن تكون له به رابطة غير المرور بهذا المكان زمنا معيننا من كل نهار •

• « الراجل جاء عز الطفلة » •

— « ... »

— « قلت له : واماك ؟ »

— « الحماء صعبة »

— « قال : رضاية الوالدين »

— « الوالدين صعب »

سعل الكناس بقوة ، وأبدل عصا الكنسة التي يعانقها من كتفه الأيمن إلى كتفه الأيسر .

— « وينهم الوالدين ؟ »

— « معذور .. عنده الحق »

— « وين .. الحق ؟ .. »

— « دز هاك الشوية لفاقي »

وعاد العامل يدفع — كما جاء — حصيلة من التفاتات المانة بجانب الرصيف . في تلك الأثناء ، كانت تتجمع على الرصيف الأيسر أقوام مختلفة متباينة ، ينتظر جميعها « التروى » ، الذي سيأخذها إلى نواحي شتى من أرجاء العاصمة فيبذرها في المدينة ، حتى تضيق مرة أخرى .

.. كان هناك سفسارى يلف قواما فتيا ، تحاول الفتنة أن تبرز منه ، وتحاول صاحبته ان تترك الفرصة لذلك ، فلا تكاد تصل إليها ، وإذا النتيجة محاولة رخيصة للاغراء .

.. العينان المكحولتان فيهما تعب باد ، لكنهما لا تفتحان في دوران ، حتى سنح لى بجانب الفتاة رجل عريض منكوش الشعر تخيلت أن الارض أفرزته ، فرأيت الهدوء عند ذلك يغمر جسد المرأة ، ويردعها عن التفاتاتها ، فإذا هي تبدو أنقص طولا ، وأقل روعة ، مما كانت عليه .

.. فتح الرجل المنكوش الشعر فمه العريض ، وفاه ببعض الكلمات ، فأتبع لى بعدئذ أن أرى بقية الزينة التي طلت بها المرأة وجهها ، إذ أرخت يدها التي

كانت تمسك بطرف الحجاب ، لتسحب شيئا من الكيس المعلق بيدها الأخرى .  
ثم سلمت ذلك الشيء فيما بعد الى الرجل مباشرة ، وفي نفس اللحظة وصل  
« التروى » ، فرأيتة يدفعها اليه بمجرد انفتاح الباب الخلفى ، ورأيتها تهتم  
بالكلام ، وتكاد أن ترفض الصعود إلى العربة ، ولكنها صعدت ، ثم ألصقت  
وجهها بزجاج المؤخرة ، وقد زاد اتساع عينيها ، ولكأنهما تريدان البوح بكلام  
كثير . . لم ادرك فى الحين ما كانت تحمل فى تلك النظرات ، ولكن نفسى  
حدثتني فيما بعد بحديث طويل .

.. أما الرجل فقد بقى على الرصيف من دون أن يشيع العربة بنظرة ..  
عيناه انهمكتا مع أصابعه فى عد الأوراق النقدية .

\* \* \*

سرت فى ملل حتى وقفت أمام الشيات بعد أن انتهى من ترتيب قواريره  
الصغيرة وعليه الملوثة . فمد يده يأخذ رجلى ، دون أن يرفع بصره إلى وجهى ،  
كانما هو لا يشتهى النظر فى سوى النعال .

.. وتركته يلوح الحذاء فى مزرعة ولتأبى كأنه آلة صغيرة من تلك التى  
يستعملها أهل أوروبا فى مناوئهم . . بل لعله أغلبه بالآلة مسح الاحذية التى  
انتشر استعمالها بأمرىكا .  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لقد أحسن أولئك الناس صنعا باختراع هذه الآلة . فالإنسان عندهم لم يعد  
بوسعه أن يقوم بمثل هذه الأعمال الوضيعة . . ووجدتني أفكر مع ذلك فى أنه  
من الواجب أيضا أن لا تكلف الآلة الطريفة بالأعمال الوضيعة . . الآلة يجب أن  
تقدس .

.. وقرع خشب الصندوق . فأبدلت ساقا بساق ، وتساءلت .. ترى ما  
الطريقة التى تستعملها آلة المسح لتنبيه زبائننا ؟ أبيضى فيها مصباح ؟ أو  
يدق جرس ؟ أو ينطلق نغير ؟

.. وأصابت سمعى زمارة ناظر المحطة ، فرجعت من شرودى ، قائلا لنفسى  
أن كل ذلك معقد .

\* \* \*

أين سيارات « التاكسى بيبى » ؟ .. محطتها فارغة ، وهناك عجوز أوروبية  
تنتظر بسلتها على الرصيف ، بينما توزع ثلاثة من الصعاليك الضبان على

المنعطقات يرصدون التاكسيات • حتى إذا برزت منها واحدة ، قفز إليها أحدهم فأمسك ببابها وسقفها ، وقادها مخفورة إلى من يشير إليه واعداء بالعطاء ••

•• منذ حين كنت أراقبهم في غدوهم ورواحهم ذاك بين المنعطقات والرصيف • والاحظ تهافتهم على سيارات الأجرة في غير مبالاة بما يحيق بهم من أخطار ! وأنظر إلى إشراق عيونهم كلما اجتمعوا عمود الكهرباء ليعدوا هبات السراكين •

ولمدة من الزمن ، توقفوا عن الركض وسط الشارع •• وبقوا حصة طويلة حول العمود ، فإذا معهم رابع ، قمى ، شاحب الوجه ، مخلوق الشعر ، تبدو ثيابه من وسع وكأنها ليست له • كان يدلى بجمل مقتضبة سريعة ، وسط وجوم رفاقه ، وقد ظهر عليه التأثير الشديد ••• حتى إذا انتهى ، رفعوا رؤوسهم ، وحاولوا الابتسام • ثم وضع أحدهم يده على عاتق القادم الجديد ، وهزه بشدة • وقف آخر إلى وسط الطريق • وقادها إلى حيث وقف أصحابه دون أن يبالي بالمرأة الأوروبية التي أخذت تناديه ، مشيرة بالكيس مرة ، وبالسلة أخرى •

اركب الثلاثة صاحبهم •• ثم أخرج أحدهم ما في حيبه من قطع نقدية ، فدفع بها إليه • فسارع الرقيقان الآخران إلى القيام بنفس العمل •• ونفرت التاكسي براكها إلى مصير آخر ، بينما عاد الصعاليك الثلاثة إلى ما كانوا فيه من تقافز بين احشاد السيارات ، وترصد عند المنعطقات •

أما أنا فقد مللت الوقوف •• وضاعت منى فرصة الميعاد •• فقررت العودة من حيث جئت • واتجهت نحو القوس الذى يطل على باب البحر الكبير •

عبد الواحد إبراهيم

## هلا زرق والأحمر والأخضر

### بقلم : جلوس عزونة

كان في حيرة من أمره .. لا يعرف هدفا له في الحياة . يقضي أوقاته في استعراض ذكرياته أو في التساؤل عما يخبئه له الغد بل حتى عما تخبئه له اللحظة القادمة ؟

ويحاول أن يتكهن بالمستقبل .

ولكنه لا يستطيع ، فيرجع الى اجتراح ماضيه الذي لا ينك يبتعد ، والذي يملا أفقه : نوب امرأة أزرق مقدس ..

كان يرنو ذات يوم من شرفة منزله الى الغادين والرائحين ويتأمل خطواتهم المسرعة تحت ظل المطر .. واذا به يرى فستانا أخضر يرتعش فوق ربله ساق بيضاء ناصعة البياض فيسحر .. ويجد الاغراء الى نفسه سييلا ، وهو يشاهد وسط تلك الساحرة يتمايل بدلال وحشمة ، وكأنه يحتال على تقط المطر المتساقطة القليلة .

ولكن نظره الحائر الضعيف يرقد مكسورا مدحورا وقد غلبه ضباب قاس يسد الأفق ويخلط سماءه ببحره ويفرق تلك الحضرة والبيوضة والارتعاش في المجهول .. فيأخذه الغضب ، فيلعن الجهل وحظه .

كان ظل المطر يخيف . أو كان الناس عدمت الاحساس . ألا تراهم يشعرون بشيء من النعومة والعطف والحنان ، وقطرات المطر تداعب شعر رؤسهم وتسيل في هدوء وسكينة على صفحات وجوههم ؟ ترى هل شبع الناس من الحنان والود والعطف والنعومة فاتخمو ؟



ولو تمهلوا وساروا مصطفين لأشبع عينيه من بعيد بقدر تلك الغانية ولطال  
ذلك القلق اللذيذ الذي صار يحس به حديثا كلما شرع في عبادة الربلات  
ومقارنة امتلائها بريلة فينوس المرمية .

\* \* \*

ويبدأ ربيعها حلوا مع صاحبة الفستان الأخضر .  
ويظن أنه عرف الاستقرار . ويخال أن أيامه اخضرت . وإن حيرة الماضي  
تلاشت .

نعم . كان في عينيه إشعاع وحركة ، وفي جسمها ارتعاش ودعوة .  
ولكنها كانت خفيفة كالظل . هزيلة كشجرة ربيع بدأت تورق .

لقد بدأت ذكريات الحريف والصيف تراوده أحيانا .  
لقد بدأت تنفض عنها الغبار ، وتملا عينيه ورقة وصفاء .  
قالت له يوما ذات الثوب الأخضر وقد مدت شفيتها في دلال وغنج :

ARCHIVE  
http://Archivebeta.Sakhril.com

- أتراك تفكر في ؟

- بلى . أفكر فيك .

- دائما ؟

- كلما تذكرتك .

- ومتى تتذكرني ؟

- كلما أرى امرأة أجمل منك .

وتذكر فستانا أحمر أقبل نحوه ذات يوم ببطء وهدهو ، فستانا ضيقا يظهر  
تفاصيل الجسم إظهارا كاملا ، فستانا رقيقا يكاد لا يخفى شيئا .

وفي لحظة خاطفة يقارن جمال الفستان الأخضر الحادع بجمال الفستان الأزرق  
الهادئ الأصيل . ويشعر كما يشعر النائم في الأحلام أن العالم أخذ يميل به ،  
وأنه كان السبب في ذلك ، وأنه ارتكب خطأ ما استبانت له بعد هويته .

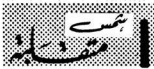
- ومتى وجدت امرأة أجمل مني ؟ ثم .

ولكنه لم يسمع بقية كلامها بل رأى شفتيها تنفرجان فى حدة وصرامة .  
وحدث فى عينيها . . واذا بهما تفقدان إشعاعهما . وإذا به يتذكر تلك  
الجزيرة الصغيرة وسط البحيرة العظيمة ، ويتذكر يوما واحدا من أيام ماضيه  
ترادى له فيه ما ظل يبحث عنه الى الآن وما وجدته . « بياض وسواد ، امتلاء  
وعدوه وعمق » .

اما هذه فهزيلة كشجرة ربيع بدأت تورق . إنه لا يحب الربيع ولا أنواره  
وزهوره . بل هو يحلم بشمس صفراء باعثة تعكس نورها على كسرة خريفية  
مثقلة عتبا . فى أحشائه النار ، بل هو يحلم بتين ناضج يسكر ويفقد الوعى  
وقد عصروه عصرا ، يكهرب لامسه فيتفاعل معه .

وصاح فيها ، وأشباح العنب والتين والخريف والموت تتراقص فى عينيهِ :  
- إلى غيرى جرى فستأنك الاخضر وساقك البيضاء . لم تخلق ليال  
كبير . . . شفاهك شفاه ؟ لا تملكين من العطف والود والحنان الا المظاهر  
والقشور . وأغلق الباب دونها . وأخذ القمام وخط سطورا واحدا فى مذكراته .  
« لا لن استطيع ان اجد ثوبا أزرق » .  
وأجهش بالبكاء .

## جلول عزونة



### بقلم : سمير العيادي

جلس في مقهى « الكابيتول » .. ونظر الى الشارع الكبير الذى يزخر بالظلال والحياة ، تحت شمس تجهد نفسها وتحاول مسح الحركة الصغيرة المنتشرة فى كامل الشارع بين الميناء و « المدينة » ..

جنس وطلب « كوكا كولا » ثم نظر الى ساعته فاذا هى لا تتحرك .. وشعر بجفنيه يحنان لبعضيهما .. فلخرج سيجارة .. كانت الوحيدة التى بقيت له من سجائر « برلين » ، لقد نسي أنه كان فى « برلين » منذ شهر .. لقد نسي كل شئ ..

لقد نام ...

شعر بيد على كتفه فصارع ليفتح عينه اليمنى وحين تيقن أنه فى مقهى انتفض ومسح عينيه بدى الحجل والاضطراب ..

كانت تقف بجانبه بشعرها الأشقر وعينيها السماويتين وبشرتها الحمراء وفستانها البرتقالى ؛ فتذكر أن اسمها « تيريزا » وأنها من برلين ، وأن لها صدرا جميلا .. لم يتذكر غير ذلك ..

ابتسمت هى ، وجلست وسألته عن حاله ، وعن أشياء عديدة وبقيت ذاهلة لأنه لم يتأثر بوجودها مطلقا ..

فتجرات وسألته إن كان قد نسي عهده معها ، وغير رأيه فيها ... ذلك الرأى الأحمر الذى سمعته فى مقهى « كانزلىر » بكورفور ستندام وفى « حديقة

الصيف « ثم بيّتها قرب « الهانزافيرتل » .. سألته إن كان قد نسي رجاءه  
منها أن تأتي الى بلاده . سألته !

ولكنه لم يجب الا بابتسامة وكلمة جوفاء .. « انتشلديفونق » أى المعذرة ..  
ثم نهض ودفع « للجرسون » أجره ، وانصرف يلحق ريقه وعرقه .

بقيت هى تنظر إليه فى اندعاش ساكن .. وحين اقترب منها « الجرسون »  
ليأخذ قارورة الكوكا كولا ابتسم ماسحا جبينه بمنديله وقال لها :

« ما قولك فى شمس تونس ؟ ، إنها ليست كشمس « برلين » .. الا  
تجدين ؟ »

فأجابت دون إدراك : « آه فعلا فعلا .. أعطني « كوكا كولا » ... »

سمير العيادى



<http://Archivebeta.Sakhril.com>

## قالوا عن « قصص »

♦ وبعد طول الشوق والتشوق  
صدر - نادى القصة - فى تونس  
مجلة التى تبرز نشاط اعضائه فى  
ميدان القصة وما يعا يمارسونه من  
إنتاج يهدفون من ورائه الى تركيز هذا  
اللون من الادب الذى عالج به شباب  
وشيوخ فى تونس منذ اكثر من ثلاثين  
عاما ولكنه لم يتواصل ولم يبرز فيه  
اعلام عرفوا بأنهم قصاصون بمعنى  
الكلمة .. فانصراف شبابنا الادبي  
اليوم محاولة حذق القصة والتمزج  
فيها حركة مباركة نشجعها وندعو الى  
الاقبال عليها .. فالقصة اسلوب  
ادبي مؤثر نستطيع به ان نبلغ  
الجماعير كثيرا من الاغراض والمبادئ  
السامية ..

من ذلك نشكر لنادى القصة فى  
تونس نشاطه فى هذا الصدد ونشكر  
دار النشر لاسعافها لنادى بنشر  
مجلته ...

♦ ... يتذمر المخرجون السينمائيون  
الهواة منهم والمحترفون من انعدام  
قصص يمكن ان تحول الى سيناريو  
لغيلم من الافلام النابعة من الواقع  
التونسي .. ويشكو المسرح الفقير  
نفسه ... وظهور هذه المجموعة من  
القصص التونسية لحما ودعا والتي  
ستتبعها مجموعات ومجموعات ستكون  
موردا لا ينضب للمقترسين للمسرح  
وموردا لمنتجى السينما الذين يبحثون  
عن القصة التونسية والموضوع  
التونسي ليستخرجوا منه سيناريو  
لافلامهم ... وهكذا تكون دار النشر  
خدمت فى وقت واحد الادب التونسي  
بنشر هذه المجموعة من القصص التى  
ستعرف بأدب القصة التونسي بالضاد  
وفى غيرها حيث يعنى المدارس  
والمستشرقون بكل جديد من الانتاج  
الادبي فى البلاد العربية كما خدمت  
القصاصيين بنشر انتاجهم ... هذا  
النشر الذى يشجعهم اذا عن للمنتجين  
والمقترسين استغلال هذا المورد الجديد  
المتجدد كل ثلاثة اشهر ...

- جريدة الصباح -

66/10/20

- جريدة العمل -

66/10/29

♦ ان نادى القصة قد سن بعمله  
الجليل هذا سنة جديدة وحيدة  
نتمنى لنا دوام العطاء والانتاج ...  
ونأمل ان ينسج على منوالها شعراؤنا  
ونقادنا وفنانونا حتى تصبح لنا  
واجهات زاهرة للشعر والنقد والرسم  
امنية ... ليس تحقيقها فى العهد  
الاشتراكى بعزير ...

### - مجلة الشباب -

66/10/8

♦ بادر طيبة هذه التى اقدم عليها  
« نادى القصة » والتى تتمثل فى نشر  
مجموعة من القصص كل ثلاثة أشهر  
يقع تدارسها فى جلسات متعددة ...  
وليس أبعت على التشجيع وتغذية  
المواهب من نشر إنتاج قصاصينا  
وإشاعتها بين الناس ... ليست  
القصة هى التى أصبحت فى عصرنا  
تعبّر بأكمل صورة عن آلام الانسانية  
وآمالها ... وأخيرا فنحن نتمنى لها  
النجاح فى درب الادب الاصيل  
العنود .

### - مجلة الفكر -

ديسمبر 1966

♦ مجلة جديدة اصدرتها الدار  
التونسية للنشر باشراف نادى  
القصة هى مجلة « قصص » ٠٠ الحدث  
فى ذاته كبير ٠٠ وكبير جدا ٠٠  
ليس فقط فى كون هذه المجلة هى أول  
المجلات القصصية المختصة ولكن فى  
كون هذه المجلة تظهر لأول مرة المغرب  
العربى بأكمله ، وفى فترة ظهور  
الذاتية التونسية وتواصل الادب  
التونسي ...

وهذان مظهران سيعرزان مكانة  
هذه المجلة لدى المجالات التونسية  
المناضلة ولدى المجالات فى النطاق  
المغربى والعربى بصفة شاملة ...  
وايضا فى نفوس مثقفينا الذين يسعون  
لابراز فاعلية الادب وخروجه من مأزق  
الاجترار والاشكال والتقليد  
والتحنيط ...

### - مجلة الاذاعة -

66/10/24

## الفهرست

العدد - 2 - جانفي 1967 - السنة الثانية

3	..... « قصص »	تصدير
5	..... محمد المختار جئات	فصل من رواية « ارجوان »
25	..... عبد المجيد عطية	فصل من قصة « المحكوم عليه »
		القصة التونسية بين الح. ربين
31	..... محمد الصالح الجابري	1914 - 1940
47	..... حسن نصر	رجل متعب
53	..... عز الدين المدني	سقيا يا مطر « الفصل الثاني »
69	..... الطيب العشاش	من أيام عثمان « يوم العجاج »
71	..... أحمد الهرقام	عينك والنهر
77	..... عز الدين الموني	تقديم الساحرة التونسية
81	..... الصادق الرزقي	رواية الساحرة التونسية
103	..... يحي محمد	عندما يأتي الفجر
113	..... ترجها عن الانقليزية عمران الثين	ورقة اليانصيب
117	..... عبد الواحد إبراهيم	باب البحر
123	..... جلول عزونة	الازرق والاحمر والاخضر
127	..... سمير العيادي	شمس متقبلة
129	..... جريدة العمل	قالوا عن « قصص »

جريدة الصباح

مجلة الاذاعة

مجلة الشباب

مجلة الفكر